عناقيد الحكمة

الدكتور حامد طاهر

بين يدى الكتاب

بقلم الناقد أ.د. ماهر شفيق فريد
أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها بآداب القاهرة

(1)

للدكتور حامد طاهر ، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ، ونائب رئيس جامعة القاهرة لشئون التعليم والطلاب ، جوانب متعددة ، تتنوع ولكنها تتكامل ، فهو باحث فلسفى ، وأديب مبدع فى مجالات الشعر والقصة والمسرحية الشعرية ، وصاحب سيرة ذاتية ، وكاتب مقالات فى الاجتماع والحياة ، ومترجم ، ومحرر عدد من الكتب فى مجالات الشعر والدين والفلسفة.

يعرفه أساتذة الفلسفة وباحثوها مؤلفاً لدراسات عن المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابى ، والخطاب الأخلاقى فى الحضارة الإسلامية ، ومنهج البحث بين التنظير والتطبيق ، وقضايا الفلسفة والتصوف الإسلامى ، فضلاً عن تحقيقه كتاب ابن عربى " روح القدس فى مناصحة النفس ". كما يعرف المتخصصون أطروحته لدكتوراه الدولة من جامعة السوربون بباريس فى 1981 عن "البناء المنطقى لأعمال

الحكيم الترمذى ".

ويعرفه محبو الأدب وعشاقه واحداً من أبرز شعراء المدرسة الدرعمية [1] إلى جانب الدكاترة أحمد درويش وعبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام) ومحمد حماسة عبداللطيف: المدرسة التى تنحدر من معطف على الجارم وتضم على الجندى ومحمود غنيم ومحمود حسن إسماعيل وطاهر أبوفاشا وغيرهم، وذلك بدواوينه "ديوان حامد طاهر" (1985) و "قصائد عصرية" (1989) و "ديوان النباحى" (1992 ، وهو ديوان متخيل بكامله من الشعر العربى القديم، وآية من آيات الشعر الفكاهى) [2] و"عاشق القاهرة" (1992)

---

[1] يذكر الدكتور حسن البندارى فى مقدمته لكتاب الدكتور حامد طاهر "ثلاث مسرحيات شعرية" أن ممن كتبوا عن حامد طاهر شاعراً : د. أحمد هيكل فى تقديمه لديوان " ثلاثة ألحان مصرية ، د. محمود الربيعى فى تقديمه لديوان " نافذة فى جدار الصمت " وكتابه " من أوراقى النقدية " ، د. محمد حماسة عبداللطيف فى كتابه " اللغة وبناء الشعر " ، د. أحمد درويش فى كتابه " فى النقد التحليلى " ، د. حسن البندارى فى كتابيه " فاعلية التعاقب فى الشعر العربى الحديث " و"جدلية الأداء التبادلى فى الشعر العربى المعاصر" ، أنيس منصور فى " الأهرام " .

[2] يضم " ديوان النباحى " معارضات لأبى نواس ، ومحاورات مع المتنبى والمعرى ، وذكرا لجرير والفرزدق .

و "الطواحين" (1999) و " تراب القدس " (2001) [3]. وقد سبق هذه الأعمال مجموعتان شعريتان بالاشتراك : "ثلاثة ألحان مصرية " (مع أحمد درويش ومحمد حماسة ، بتقديم الدكتور أحمد هيكل 1970) و " نافذة فى جدار الصمت " (مع الشاعرين المذكورين ، بتقديم الدكتور محمود الربيعى 1974).

ويضم " ديوان حامد طاهر " مقدمة هامة من خمس وأربعين صفحة تحمل عنوان " تجربتى مع الشعر " وتعد مرجعاً لا غنى عنه لكل من أراد تتبع مسيرة الشاعر، شأنها فى ذلك شأن شهادات مشابهة لأدونيس والبياتى وصلاح عبدالصبور وعبدالمعطى حجازى ومحمد أبوسنة وفاروق شوشة وغيرهم . وقد كتب عنها د. محمد الجوادى فى كتابه المسمى "مذكرات الهواة والمحترفين فى كتابة التجربة الذاتية". كما يضم ديوان قصائد عصرية ، شهادة عنوانها "هذه القصائد" تلقى ضوءاً غامراً على سنوات تكوين حامد طاهر وتطور أفكاره .

---

[3] يذكر حامد طاهر فى تقديمه لديوانه " تراب القدس " أنه اكتفى فيه بتقديم القصائد التى كتبها عن فلسطين منذ عام 1962 حتى تاريخ صدور الديوان فى عام 2000.

وخلاصة مفهومه للشعر – كما تجملها مقابلة أجراها معه نبيل فرج – أن الشعر " رصد للحظات سائلة تمر بها النفس الإنسانية " لحظات نود أن نملكها ، وتهرب من أصابعنا مثل الماء ، والشعر لغة مكثفة إلى أبعد حد ممكن ، شديدة الصفاء إلى الحد الأقصى ، بحيث أنها تنساب بسهولة وبساطة وعفوية إلى نفس المتلقى " . [4]

ويستوقف قارئ أشعاره تنوع أغراضها، ومراوحتها بين الشكل العمودى وشعر التفعيلة . إنه يكتب فى الوطنية ، والحب ، والطبيعة ، ومجالى الريف الذى شهده طفلاً ويافعاً، والقاهرة التى جاء إليها طالباً (له قصائد عن حى الحسين ، والدرب الأحمر ، وشارع نوال الذى أصبح اسمه الآن : شارع محمد حسن الرزاز) ، والنيل ، والإسكندرية ، وباريس، فضلاً عن مظاهر الحياة العصرية (على نحو يذكرنا بما صنع العقاد فى ديوان " عابر سبيل ") من جريدة وراديو وتلفزيون وسيارة وتليفون وأسانسير وسوبر ماركت وكمبيوتر إلى آخره .

ومن بين قصائده تبرز القصيدة المسماة "الطواحين" (مكتبة الآداب 1999) وهى قصيدة فلسفية متعددة المقاطع

---

[4] انظر نبيل فرج ، " الحكمة والبساطة فى ديوان حامد طاهر " ، مجلة الشعر ، أكتوبر 1986 ، ص 75.

تتألف من أربعة وعشرين مقطعاً يدور كل منها على حد قول الشاعر " حول إحساس نحبه ، أو نزعة نكرهها ، أو هدف نتطلع إليه ، أو دافع نتجنب الحديث عنه " .

والشعر الفلسفى ، كما لا حاجة بى إلى أن أقول ، جنس أدبى صعب لأنه يتطلب اقتراناً لملكات التفكير وسبحات الخيال ونبضات الوجدان . ويخطئ من يحسب الشعر (كما حسبه بعض صغار الرومانطيقيين) عاطفة وشعوراً فحسب ، وإنما الشعر الجدير بهذا الاسم إجالة للنظر فى أرجاء الكون، وإعمال للعقل فى سر الوجود ، ومواجهة للأسئلة الكبرى التى تجبهنا بها الحياة : أسئلة الخير والشر ، والجمال والقبح ، والصواب والخطأ ، والأمل والمآل ، والنعيم والجحيم . إن التقرير الفلسفى مشروع فى القريض مشروعية النفث الوجدانى ، وإلا فماذا تكون قصيدة لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء " بغير فلسفة أبيقور ؟ وماذا تكون كوميديا دانتى الإلهية بغير فلسفة القديس توما الأكوينى ؟ وماذا تكون " فاوست " جوته بغير أفكار القرن الثامن عشر ، عصر الأنوار ؟ وفى عصرنا ماذا يكون شعر إليوت وفاليرى ورلكه وأضرابهم إن لم يكن تأملاً عميقاً فى جدل الزمن والأبدية ، الثبات والتغير ؟ وقد صدق العقاد – وهو شاعر الوجدان بامتياز – حين قال فى مقدمة ديوانه

"بعد الأعاصير" : الحقيقة التى ينبغى أن نحضرها فى أخلادنا هى أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير ، وأن الشاهد على ذلك أدب الفحول بين شعراء الأمم العالميين ، ومنهم أمثال شكسبير وجيتى والخيام وأبوالطيب " . فليس الفكر والوجدان عدوين - كولدى أوديب - وإنما هما نهران يصبان فى مجرى واحد ، ومن لقائهما تتولد الخبرة الإنسانية بكل ثرائها وزخمها .

وطواحين الدكتور حامد طاهر - وهى من الشعر العمودى راسخ البنيان - تدور بقارئها فى معترك من أعمق الخبرات الإنسانية : الحب والشك والصداقة والسعادة والإيمان والزهد والغربة والندم والخيانة إلى أن تنتهى بالموت والذكرى . إنها تأملات لا تندرج تحت مقولات الفكر البارد المجرد وإنما هى موشوجة الصلة بأكثر المشاعر حميمية وأبعدها غوراً : فالشاعر يحس ويفكر فى آن ، يعيش الخبرة ويتأمل معناها ، يعرض لنا صفحة روحه دون أن يحاول إسدال نقاب على نواحى الضعف أو جوانب القصور . إنه - أو فلنقل إن المتكلم فى هذه القصيدة ، إذ بديهى أن " أنا " القصيدة لا تعنى بالضرورة " أنا " كاتبها - يسعى وراء المال حتى إذا حازه، وقد ولى الشباب ، لم يجد له طعماً ، ويسعى وراء السلطة فإذا به - بين يوم وليلة -

يجد نفسه عارياً منها ، يلعق جراحه بين الأنقاض . وينطلق المتكلم فى أرجاء الدنيا مزهواً بشبابه حتى تكون لحظات لا مفر منها يشتعل فيها المشيب بمفرقه فيضطر اضطراراً إلى التوقف ومراجعة النفس ؟

يحلق على جناح الحب فلا تلبث الأشواق أن تبرد وتخبو نارها ؛ يبحث عن اليقين فلا يجد سوى غشاوة وغبار، عقله فيه غائم مشتت طوراً يفيق وطوراً ينهار؛ ينعم ببريق الشهرة فإذا هى فى النهاية سراب ؛ يحاول الفرار من جرائم ساقته إليها الحماقة والغرور فإذا الشعور بالذنب يطارده أينما ذهب ويسد عليه كل مسالك الفرار ؛ ويعانى مرارة الخيانة ممن كان يحسبهم أصدقاء وأحباء ؛ ويرى فى المشيب – مهما حاولنا تجميله وإحاطته بهالات الجلال والحكمة – درباً للفناء سريعاً . ولكن "الذكرى" – آخر قصيدة فى الديوان – تظل تحمل للإنسان المُعنَّى شيئاً من العزاء .

الخبرة فى قصيدة " الطواحين " خبرة وجودية عاشها صاحبها واكتوى بنارها وعرف – وهو الذى عاش بين مصر وقطر وفرنسا – أنماطاً من الحياة متباينة ، وقابل نماذج من الناس متباعدة ، ومر بخبرات منها ما يبعث على الفرح وتنتشى له النفس ومنها ما يملأ القلب هماً ، والروح حبوطاً ، والعقل حيرة فى بيداء من الظنون والأوهام . خذ

مثلاً تجربة الإيمان وما يتعرض له من زعازع : عندما يقول حامد طاهر " غدت الحياة كئيبة والأمنيات مريضة والكون جد حزين " فإنه يذكرنا بتجربة مفكر عظيم من آباء الوجودية الإسلامية قبل أن يستقر على شط الإيمان : أبى حامد الغزالى الذى يحدثنا فى سيرته الذاتية الروحية " المنقذ من الضلال " أنه عرف أزمة روحية عنيفة تعاورته فيها " شهوات الدنيا ودواعى الآخرة " وأقفل الله على لسانه حتى أورثه ذلك "حزناً على القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب" . وأعضل هذا الداء ودام قريباً من شهرين " أنا منهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق المقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال " . لم تكن الأسباب العقلية هى التى هدت الغزالى إلى السكينة ، وإنما هو " نور قذفه الله تعالى فى الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيّق رحمة الله الواسعة . " هكذا تكون النعمة الإلهية – الجود الإلهى تعبير الغزالى – هى سبيل الخلاص من حيرة العقول ؛ ومثل هذا قد عرفه حامد طاهر فى هذه القصائد المتوهجة بنار المعاناة وعذاب الفكر .

إن " طواحين " حامد طاهر جزء من موروث شعرى عظيم : ينتظم قصائد زهير وأبى العلاء والمتنبى وأبى العتاهية وابن سينا والحلاج وشوقى والعقاد وشكرى، وهى أيضاً دليل على الامكانات اللامتناهية للشعر العمودى وقدرة بحور الخليل على استيعاب كافة شواغل النفس وسوانح الفكر وتقلبات الوجدان . هذا شعر مفتول العضل ، وثيق البنيان ، برئ من ألاعيب المحدثين والمحدثات ، وجرأتهم الكاذبة ، وقصائد نثرهم التى لا تبلغ أن تكون شعراً ولا نثراً، وإنما هى – فى الأغلب الأعم – مسخ هجين وصرعة عابرة تنقضى بانقضاء اليوم ، بل قبل أن ينقضى اليوم.

وكما نظم حامد طاهر الشعر، عالج القصة القصيرة. إن كتابه "قصص عالمية" [5] ينتهى بأقصوصة من تأليفه هى " القرار " . وله مجموعة قصصية عنوانها " قصص خاطفة: مائة قصة وقصة" [6] (2003). وهذه الأقاصيص أقرب إلى

---

[5] يحوى كتاب " قصص عالمية " أقصوصة لتشيكوف ، وأقاصيص من الفولكلور الألبانى مترجمة عن الفرنسية . د. حامد طاهر من مترجمينا القلائل الذين ينقلون عن الروسية مباشرة .

[6] يُعرف حامد طاهر قصصه الخاطفة ، فى تقديمه للمجموعة ، بأنها " قصص الموقف البسيط ، واللمحة السريعة ، التى يتم التقاطها من واقع الحياة الجارية ، وترصد بعض التفاصيل الدقيقة ، والمفارقات الساخرة، فى عبارات قصيرة أو متوسطة ، قد يتخللها بعض الحوار ،

ما دعاه الناقد الدكتور محمد حسن عبدالله – فى سياق مغاير– " قصصاً فلاشية" : أشبه بفلاش آلة التصوير ذات البرق الخاطف الذى ينير مظلماً ويجلو غامضاً .

وتكشف القصص عن فطنة مؤلفها إلى مفارقات الحياة وقدرته على اقتناص موقف إنسانى كامل فى شبكة صفحة واحدة أو صفحتين . وهى تضم معرضاً من النماذج البشرية بكل ما تشتمل عليه من قوة وضعف وخير وشر .

والجنس الأدبى الثالث الذى عالجه حامد طاهر هو المسرحية الشعرية : تجد نماذج منها فى كتابه " ثلاث مسرحيات شعرية " (2002) وهى مكتوبة بالشعر الحر . المسرحية الأولى – كما يحدثنا المؤلف فى " تجربتى مع الشعر " – تحمل عنوان "درويش السقا" وتصور استئثار محمد على بالسلطة بعد توليه حكم مصر بمساعدة الشعب . والثانية بعنوان " أربعة رجال فى خندق " عن انسحاب الجيش المصرى من سيناء عقب هزيمة 1967 . والثالثة بعنوان " الأشجار ترتفع من جديد " موضوعها المقاومة الفلسطينية فى مدينة غزة . وتتصدر المسرحيات الثلاث

أو توجد فيها عقدة ، لكنها ما تلبث أن تنحل ، لكى تضع القارئ فى حالة من الدهشة الأدبية ، وتتركه يفكر فى المغزى ، والهدف ، وكيف؟ ولماذا ؟

مقدمة من قلم الدكتور حسن البندارى تلم إلماماً حسناً بخيوطها وتقنياتها .

ولحامد طاهر كتاب فى السيرة الذاتية عنوانه " نبش الذاكرة " صدر فى عام 2000 . لقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين ازدهاراً لفن السيرة الذاتية فى أدبنا وكأنما يشعر الأدباء والمفكرون – إذ يقفون على مفترق الطريق بين قرنين وتوشك دورة حياتهم أن تكتمل – أنهم مطالبون بتقديم كشف حساب أمام التاريخ عن حياتهم وعصرهم وعن تفاعل الأحداث العامة ودراما الذات الفردية . هكذا رأينا "العيش على الحافة " لشكرى عياد ، ومن قبلها "أوراق العمر" للويس عوض ، تتناول بصراحة صارمة خبرات الكاتبين من حيث التنشئة والخلفية واكتشاف عوالم الجنس والفكر والإبداع . وكذلك رأينا سيراً ذاتية لمحمد عنانى ومحمد جبريل وعبدالوهاب المسيرى ورفعت السعيد ومحمود الربيعى وأحمد حمروش ويوسف الشارونى . وها هو ذا الدكتور حامد طاهر يخرج علينا بهذه الشذرات من سيرته الذاتية مضيفاً بذلك لبنة جديدة إلى صرح هذا الجنس الأدبى الذى تمتد جذوره – أيغالاً فى أعماق التاريخ – إلى أدب الإغريق والرومان ، وإلى الأدب المصرى القديم (ماذا تكون قصة سنوحى أو شكاوى الفلاح الفصيح إن لم تكن

شذرات من سيرة ذاتية ؟) وإلى الأدب الأوربى فى عصر النهضة كما يتجلى فى مقالات مونتنى وسيرة بنفنتو تشيلينى ثم أدب عصر التنوير(جبون) وممثلى الحساسية الرومانطيقية (روسو ونوفالس ومارى بشكرتسيف) إلى أن نبلغ ، مروراً بالقرن التاسع عشر ، أعتاب القرن العشرين فتنفتح بوابات البوح والاعتراف على مصاريعها ، وتتدفق السيرة الذاتية – لأدباء وعلماء وفنانين تشكيليين وممثلين وموسيقيين – كالسيل الهادر يجتاح كل ما فى طريقه من قواعد العرف ، وآداب المجتمع ، ومأثورات الدين .

والدكتور حامد طاهر ، إذ ينبش فى أعماق ذاكرته ، مستخرجاً منها قديم الخبرات ، يسلك طريقاً وسطاً بين التكتم والصراحة : فهو يروى ما يؤثر أغلبنا ألا يفصح عنه ولكن بلغة الرمز والإيماء ، ويعرض صفحة روحه للأنظار ولكن بقدر ، جامعاً بذلك بين مادة الحياة الغفل وكيمياء الفن التحويلية الساحرة . إنه يضع هنا شيئاً قريباً مما صنعه نجيب محفوظ فى أصداء سيرته الذاتية (لاحظ أن التوكيد هنا ينصب على كلمة " أصداء " لا على أحداث السيرة ذاتها) إذ يروى خبراته على شكل مقطوعات قصيرة ، فيها من النثر خطه السردىّ وترتيب نتائجه على مقدماته بمنطق العقل ، وفيها من الشعر تكثيفه وتركيزه واستقطاره عدداً كبيراً من

الأفكار والمشاعر والاتجاهات فى سطور قليلة ، ووجهة النظر المصطنعة هنا هى وجهة نظر الراوى العليم بكل شئ الذى ينظر – من خلال مرقب النضج – إلى الطفل والفتى والشاب الذى كانه يوماً – كما كتب الفنان الفرنسى ديلاكرو فى يومياته (انظر كتاب د. زينب عبدالعزيز عنه) يضم بين جوانحه عشرين شخصية أو أكثر ، وقد تنبعث هذه الشخصيات جميعاً وتدب فيها الحياة دفعة واحدة فإذا المرء ملتقى أضداد متباينة ، وساحة قتال لنقائض متصارعة ، لا تكاد تدرى أى هذه الأصوات العديدة صوته الخاص ، إذ تشتبك وتتداخل ويسعى كل منها إلى فرض ذاته على سواه .

والخيط الذى لا يفتأ يتردد فى هذه الومضات الواحدة والستين بعد المائة هو خيط انقشاع الوهم وانجياب غاشيةالزيف عن وعى الكاتب " إنه يكشف أن الماضى – خلافاً لما هو شائع – ليس دائماً جميلاً ، بل هو قد يحمل أياماً سوداء وليالى بدون نجوم . والطفولة – التى يتغنى الرومانطيقيون بعالمها الوردى – حافلة بالتنافس الذى يستحيل حقداً ، والخصومة التى تتحول إلى مقاطعة ، والمشاجرات التى تسيل فيها الدماء . وأول رحلة مدرسية خرج فيها الكاتب كانت إحباطاً من كل الجوانب ، إذ هطل المطر فتحول الأتوبيس عن القناطر الخيرية – هدف الرحلة

المقرر – إلى حديقة الحيوان التى أغلقت هى الأخرى أبوابها بسرعة خوفاً على الحيوانات ، وهكذا رجع الراوى إلى بيته كسيف البال ، ومن يومها لم يعد يهتم كثيراً بالرحلات !!

وأداة الكاتب فى استكشاف هذه الخبرات هى ، أساساً ، المفارقة الفكرية ، أو الشعورية ، أو اللفظية : فهو يقظ إلى غرائب الطبيعة البشرية ، وعبث الأقدار ، وكون الليالى حبالى يلدن كل عجيب . هكذا تأتى نهاية المقطوعة بعكس ما بشرت به بدايتها، إن خيراً أو شراً ، وندرك أن الحياة عصية على كل تنبؤ ، حافلة أبداً بالمفاجآت وأغرب من أى خيال .

وإلى جانب الذكريات الشخصية – الأسرة والأصدقاء وأيام الكتّاب والمدرسة والجيرة – نجد لمحات من العالم الأوسع خارج البيت والشارع : الغارات الجوية ، حريق القاهرة ، بيان ثورة يوليو 1952 وقراراتها ، العدوان الثلاثى فى 1956 ، عبدالناصر ، حقبة الستينات ، كارثة 1967 ، السادات ، حرب الخليج . يقدم الكاتب هذا كله فى "نثر معتنى به" (إذا استعرنا كلمة الدكتور نعيم عطية عن مقطوعاته القريبة من مقطوعات حامد طاهر) خلا من الزوائد والفضول ، فكل كلمة فيه – بل كل علامة ترقيم – ذات وظيفة .

إنما الذاكرة – كما كتب الشاعر الإنجليزى ستفن سبندر يوماً – هى جذر العبقرية المبدع . وهى – بكلمات حامد طاهر – " تلك البئر المحفورة فى صحرائنا " (دعا كاتب آخر سيرته الذاتية : البئر الأولى ") . وقد سعى حامد طاهر، يحالفه التوفيق، إلى إزالة الرمال عن هذه البئر (ليس من توافق الصدف إنه فى مقطوعته المسماة " البائعة الجميلة " يذكر مارسيل بروست ، أكبر أدباء الذات فى القرن العشرين). إن " نبش الذاكرة " خليق أن يلقى صدى فى كل نفس لأن مادته من مادة الطبيعة البشرية ذاتها ، والخبرات التى يقدمها هى من طراز قد مر أغلبنا به أو بشئ قريب منه، ولكننا – إذ لا نملك موهبة الكاتب الأدبية وحسه المرهف – ندعه ينزلق على صفحة الوعى دون تسجيل .

وتستغرق التأملات فى الحياة والاجتماع والأدب قسماً كبيراً من إنتاج الدكتور حامد طاهر إذ تستأثر بثلاثة من كتبه : " الدوائر المتداخلة : إحياء التراث . الترجمة التأليف (1995) و المختصر فى الحب " (2001 ، وهو كتاب فريد يقبل المقارنة برسائل ابن حزم وستندال وزكريا إبراهيم عن الموضوع) [7] و "محاورات سقراطية " (2002)

---

[7] فى تقديمه لكتاب " المختصر فى الحب " يذكر حامد طاهر من الأسلاف الذين سبقوا إلى معالجة هذا الموضوع : أبوداود

حيث يصطنع منهج المتكلم السقراطى والتظاهر بالجهل وكأنه قابلة تسعى إلى توليد الأفكار سعياً إلى تصحيح المفاهيم . وحديثاً أخرج كتاباً عنوانه " أفكار قابلة للتنفيذ " فى أكثر من خمسمائة صفحة يستحق أن نتوقف عندها هنا بشئ من التفصيل.

يضم الكتاب قرابة مائتى وخمسين مقالة قصيرة مما نشره المؤلف خلال السنوات الماضية واختارها من بين أكثر من ستمائة مقالة . والسمة المشتركة بين هذه المقالات – أو الأعمدة الصحفية – هو أنها جميعاً تتوسل بالمنهج البراجماتى إلى علاج مشكلة اجتماعية ، أو اقتراح حل ، أو فك معضلة ، أو إلقاء الضوء على أبعاد ظاهرة من الظواهر. فالكاتب هنا لا يحلق فى آفاق تخيلية ، وكأنما هو زائر من كوكب آخر أو قادم من أرض عبقر ، وإنما هو يعيش بجماع عقله ووجدانه وبدنه الحياة التى نعيشها جميعاً ، ويخوض غمارها بكل مشاقها ومشاكلها ، ولكنه يمتاز عن الرجل

الأصفهانى، والديلمى ، وابن حزم ، والسراج البغدادى ، وابن الجوزى ، وابن القيم ، وداود الأنطاكى ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والراغب الأصفهانى ، وابن عبدربه ، والقلقشندى . كما يذكر من المحدثين الرافعى (وهو عندى كاتب أوفى على الغاية فى ثقل الظل والتعقيد الفارغ ، لا أستطيع أن أشارك حامد طاهر إعجابه به) وأحمد تيمور ، ومحمد مصطفى حلمى ، ومحمد غنيمى هلال .

العادى بأنه يملك من نفاذ البصيرة وعمق الثقافة ورهافة الوجدان ما يؤهله لأن يخترق قشرة السطح إلى الأعماق .

ليس أصعب من كتابة عمود صحفى يومى يجتذب القارئ ولا يصيبه بالإملال . وحامد طاهر من هؤلاء القلائل الذين تتفجر عقولهم بالأفكار الجديدة والتعبيرات الناضرة . ويعجب المرء حقاً من اتساع الرقعة التى تدور فيها كتاباته . لقد كتب عن: ضرورة إنشاء محلات لبيع الخبز ، وأسلوب صحى لبيع اللحوم ، وإعادة العمل ببنديرة التاكسى ، وطرح مشروع تشجير شواطئ النيل بمليار نخلة ، ودعا المستشفيات الاستثمارية ألا تحجز جثث المتوفين بها ، ونبّه إلى مخاطر الذباب فى الصيف ، وسيارات السرفيس ، أو الشاحنات المتهورة ، وإزعاج الكلاكس للناس فى بيوتهم . وحاول أن يعيد الاعتبار لبعض المهن المنظور إليها نظرة متدنية من المجتمع كالتمريض والصيانة والسباكة (ص 29).

وهو يكتب أيضاً عن : الاهتمام بالسباكة عند بناء العمارات الجديدة ، وعدم وضع مواسير المجارى فيها على واجهة الشوارع ، والقضاء على ظاهرة التسول عند إشارات المرور ، ونزع السلاسل التى يحجز بها السكان أماكن لسياراتهم من أمام العمارات ، وتوحيد شكل المطبات

الصناعية وحجمها ، وعدم التهاون فى عقاب مرتكبى الغش الزراعى والصناعى والتجارى ، والتوسع فى إنشاء دور الحضانة لمساعدة المرأة العاملة ، وغير ذلك من الموضوعات .

والمصادر الثقافية التى يستمد منها حامد طاهر مادته هنا متعددة : إنها تشمل بلاغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، والتراث الأدبى العربى شعراً ونثراً ، والأمثال الشعبية المصرية ، والأمثال والحكايات الفرنسية ، والتراث الفلسفى (انظر شرحه الواضح الجميل لمقولات أرسطو العشر فى ص 345) . وهو يشير أحياناً إلى أعمال فنية بعينها منبهاً إلى نواحى الجمال فيها مثل " حديث عيشى بن هشام " لمحمد المويلحى ، أو فيلم " فى بيتنا رجل " عن قصة إحسان عبدالقدوس . وتتسلل رؤيته الشعرية ، المضمخة بعطر المجاز ، إلى تقريراته فتضفى عليها حيوية وجدة (انظر مثلاً إلى قوله : " إذا حدث أن تعطلت الأوراق عند موظف ما فاعلم أن الإدارة مصابة بما يشبه الجلطة التى تحدث فى شرايين الجسد فتؤدى إلى الشلل الجزئى وأحياناً الكلى " ص 69) . وينوه بشخصيات كريمة نفعت الوطن والناس مثل الدكاترة إبراهيم بدران ومحمد شعيب ومحمد شوقى الفنجرى وسيد سيف (ص 421- 422) . وتتسم

كتابته بقصد التعبير ، والدقة فى إصابة الهدف . وقد تتخذ أحياناً شكل حلم (انظر "حلم ليلة خريف " ص 253) أو شكل محاورة (انظر " حوار مع خريج جديد " ص 255) أو شكل مجموعة من النقاط (انظر "روائع القاهرة " ص 269). وقد سلف القول إنه فى محاوراته السقراطية يعمد إلى توليد الأفكار على نحو ما تفعل القوابل بالأطفال ، ويتظاهر بالجهل سعياً إلى تعميق ما يبدو فى ظاهره بسيطاً ، ورغبة فى توخى مزيد من الدقة فى الفكر والتعبير .

وبديهى فى هذه المقالات ما قد يختلف معه المرء . فلست أوافقه مثلاً فى هجومه على المجتمع المدنى (ص 315) وعندى أن هذا المجتمع هو السبيل الوحيد لرد غارات الأصولية الانغلاقية التى لا تفتأ – وأسفاً – تكسب كل يوم مواقع جديدة فى عقول الشباب قبل الكبار ، والنساء قبل الرجال ، وتمحو كل منجزات التنوير التى بدأها رفاعة الطهطاوى وحسن العطار فى القرن التاسع عشر . وآخذ على الكتاب ثلاثة أمور : أولها أنه يسمى فيلسوف انجلترا فى القرن السادس عشر ، صاحب " الأورجانون الجديد " ، روجر بيكون " (ص 8) وصواب اسمه طبعاً هو فرنسيس بيكون . والثانى أنه (عن سهو طبعاً) يعيد طبع ثلاث مقالات مرتين فى نفس الكتاب هى مقالات : " الكتاب المدرسى "

(ص 149، ص 441) و "تنقية المناهج الدراسية " (ص 221 ثم ص 287) و "شياطين الإنترنت" (ص 314 ثم ص 414) . والثالث أن فهرس الكتاب (فى نسختى على الأقل) يتوقف عند ص 463 بينما الكتاب ممتد حتى ص 506 . على أن هذا قد يكون عيباً فى التجليد يعتور نسختى ، ولا يشوب نسخ غيرى من القراء . ثم هل من الحق قول حامد طاهر : " أما الحوادث فإننا لم نسمع أبداً أن شخصاً قد قتل أو جرح نتيجة اصطدامه بدراجة " ص 95) . لقد كنت أقرأ دائماً فى صفحة الحوادث فى جرائدنا – فى حداثتى – هذه العبارة التى لا تكاد تتغير : " صدمته دراجة فسقط فاقد النطق " . وأعرف أكثر من شخص أصابته دراجة برضوض أو كسور أو ما هو أسوأ !

إنه مهما يكن من أمر فإن حامد طاهر – شأنه فى ذلك شأن نجيب محفوظ وأنيس منصور من الأحياء أمد الله فى أعمارهم ، ومحمد زكى عبدالقادر وشكرى عياد وحسين مؤنس ومحمود عبدالمنعم مراد من الراحلين رحمهم الله – أستاذ من أساتذة العمود الصحفى أو المقالة القصيرة التى توجز فى سطور قليلة حقائق كثيرة ، وتبرأ من مظنة الإطناب والتزيد ، وكأنما هى ضوء كشاف مفاجئ يضيئ لنا ما كان من قبل مظلماً أو مخفياً .

كتب ت.س. إليوت فى قصيدته "الرجال الجوف" : "بين الفكرة والواقع يسقط الظل" . ولكن لا ظلال ولا حواجز هنا . فالفكرة سبيل إلى الواقع قابلة لأن تخرج إلى حيز التنفيذ شريطة أن تتوافر الإرادة القوية والعزيمة الصادقة لمن خطرت له وأمكنه أن يخرجها (بالتعبير الفلسفى) من حيز القوة إلى حيز الفعل.

وحامد طاهر ، بالإضافة إلى ما سبق ، مترجم ضرب بسهم فى مجال التقريب بين الثقافات إذ ترجم عن الفرنسية كتاب رينيه لكليرك " المنهج التجريبى : تاريخه ومستقبله " ، ومختارات من القصص الروسى والفرنسى تحمل عنوان "قصص عالمية" (2001) [8] وقصائد لجاك بريفيير وغيره .

وأخر جوانبه هو جانب المحرر لمختارات شعرية من ثلاثة شعراء قدم لهم وعرّف بهم هم : "هاشم الرفاعى" (1998) و "صالح الشرنوبى" (1999) و "محمد الفيتورى" (1999) . كما أشرف على كتاب " الإسلام بين الحقيقة

---

[8] كثير من القصاصين الفرنسيين والروس الذين ترجم لهم حامد طاهر هنا ليسوا من أدباء الصف الأول ، بل لعل القارئ يسمع بأسمائهم هنا لأول مرة (قارن الكتاب المسرحيين الفرنسيين الثانويين الذين لخصّ طه حسين وقدم الكثير من أعمالهم). وعندى أنه ليس فى هذا ما يعاب ، إذ نحن بحاجة إلى معرفة الجميع ، كباراً وصغاراً ، وشموخ الجبل لا يظهر إلا بالمقارنة بتواضع التل .

والإدعاء " (1997) وكتاب تذكارى عن المرحوم الدكتور محمود قاسم عالماً وإنساناً (1992) وسلسلة "دراسات عربية وإسلامية " التى ظهر منها حتى الآن ثلاثة وعشرون جزءاً تضم حوالى مائة وثمانين بحثاً متخصصاً .

هذا هو الدكتور حامد طاهر الذى يخرج علينا اليوم بأحدث ثمار قريحته "عناقيد الحكمة " وهى موضوع القسم الثانى من هذا التقديم .

(2)

" عناقيد الحكمة " مائتان وعشرون مقطوعة من أوابد القول أو جوامع الكلم ، والآبدة – كما يقول عامر العقاد – "... تتسع للمعانى الروحية ولوازع الوعظ والتبكيت، وتتم باللباقة الفنية ورشاقة العبارة وسهولة الأداء " . [9] وتقترب هذه المقطوعات – كما يقول صاحبها فى تقديمه الوجيز لها – من شكل قصائد الهايكو اليابانية . وهى شكل من الشعر الغنائى يتألف من سبعة عشر مقطعاً فى أبيات مؤلفة من خمسة فسبعة فخمسة مقاطع على التعاقب . ازدهرت فى الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع

---

[9] عامر العقاد ، آخر كلمات العقاد ، سلسلة اقرأ (267) دار المعارف، مارس 1965) ، ص 5.

عشر ، ومازال ثمة من يكتبونها اليوم . والمبدأ الحاكم لها فصل من فصول السنة أو شهر من الشهور ، وقوامها صور من الطبيعة تقوم قوتها الرمزية على عراقة الموروث والمزج الثقافى بين تعاليم البوذية والكاوية والاعتقاد المحلى بأن لكل ما فى الكون من أشياء روحاً . [10]

وعناقيد حامد طاهر أشبه بكرمة على درب (إذا استعرنا تعبيراً من ذلك الحكيم الكبير ناسك الشخروب ميخائيل نعيمة) قد يمر بها القارئ السطحى مروراً عابراً فلا يلحظها أو يفطن إلى ما تزخر به من نفائس الفكر والبيان ؛ أو هو قد يتوقف عندها ليجنى منها ثمراً جنياً : إنها ثمرة خبرة طويلة بالحياة ، عرك صاحبها الدنيا وعالج أمورها ومشى فى مناكبها وها هو ذا يقدم لنا هنا حصيلة هذه التجربة بنظرة الفيلسوف وقلم الأديب .

---

[10] انظر عن الهايكو: "موسوعة برنستون للشعر والبويطيقا " ، تحرير ألكس برمنجر ، الناشر : ماكميلان ، لندن 1979 . وكتاب " ربيع الهايكو " من تحرير آر . إتش . بلايث ، ترجمة وتقديم بدر الديب ، طبعة خاصة ، كتاب مجلة شعر ، د.ت. وأذكر أننى قرأت – منذ سنوات – ترجمة لطائفة من قصائد الهايكو للشاعر باشو من ترجمة الشاعر العراقى حسب الشيخ جعفر فى أحد أعداد مجلة "الثقافة الأجنبية" (بغداد)، ومقالة عن الهايكو للدكتور عبدالوهاب المسيرى على صفحات مجلة "الدوحة" (قطر) (فبراير 1984)

تغطى هذه المقطوعات رقعة واسعة من الموضوعات (سأتبع كل مقتطف منها برقم المقطوعة بين قوسين) ومن أبرز هذه الموضوعات الهوة بين الواقع والمثال : " أسوأ ما فى أنظمة التربية أنها تعلم الصغار روعة الحق والخير والجمال .. لكنها لا تقدم لهم وسائل الوصول إليها ، أو الدفاع عنها ! " (مقطوعة 6).

وتناقض الفكر والفعل : " دخلت أشعة الشمس من شيش الشباك ، فراح يتأمل الكائنات الصغيرة ، التى تتماوج فيها . . قال لنفسه : إلى هذا الحد يمتلئ الكون بالحركة ؟ ! وظل راقداً فى سريره ! " (مقطوعة 21) (قارن أقصوصة يوسف إدريس " المرتبة المقعرة " من مجموعة " النداهة ").

وخيبة الأمل التى تكاد تكون – بتعبير الفلاسفة الوجوديين – موقفاً حدّياً لا يكاد ينجو منه بشر : " وصل القطار فلم يجد فيه من انتظره وزاد حزنه عندما وجد أكثر القادمين ممن لم ينتظر مجيئهم ! " (مقطوعة 1) (قارن قول صلاح عبدالصبور فى قصيدته " مذكرات الصوفى بشر الحافى " من ديوان " أحلام الفارس القديم " : (وذلك أن ما نلقاه لا نبغيه / وما نبغيه لا نلقاه).

ونسبية القيم واختلاف المعايير باختلاف المكان والزمان : " عندما دخلت السائحتان المطعم صارتا بسبب

ملابسهما القصيرة جدا موضع نظرات الجميع ! ثم بعد فترة وجيزة راحتا تتفحصان ملابس المحتشمات ، وتتعجبان ! (مقطوعة 206) (قارن قول الفيلسوف والعالم الفرنسى بسكال فى " خواطره " : " إننا لا نرى العدالة والظلم إلا ويختلفان كيفا باختلاف المناخ : فالاقتراب من القطب درجات ثلاث يقلب التشريع كله ؛ درجة سمت واحدة فى الحقيقة ؛ واحتلال بلد سنوات قليلة يغير القوانين الأساسية فيه . وللقانون عصوره الفلكية : فدخول عطارد مثلاً فى فلك الأسد لهو إيذان بميلاد نوع جديد من الجرائم . إنها لموضوع سخرية تلك العدالة التى تخضع فى طبيعتها لحدود الأنهار . فما هو حق من هذا الجانب من جبال البرانس يصبح باطلاً فى الجانب الآخر " . [11]

وعقوق الآخرين وملاقاة المعروف بالجحود والنكران : " استدعته الأسرة عند الفجر . أشرف على عملية الغسل ، واستخرج شهادة الوفاة ، وقاد مسيرة الدفن ، وتعاقد على إقامة السرادق ، وعند كتابة النعى . . لم يذكر اسمه أحداً ! " (مقطوعة 28) .

---

[11] انظر د. نجيب بلدى ، بسكال ، سلسلة نوابغ الفكر الغربى ، دار المعارف ، د.ت. ، ص 196- 197.

وانقشاع السحر عن ذكريات الماضى الجميل :
"جاءه الصوت من أعماق الماضى : صديق لم يره منذ ربع قرن . وعلى الفور حدد موعداً للقاء . . وذهب مشوقاً لسماع الكثير . . بعد نصف ساعة . . كان يود أن يرحل !" (مقطوعة 34) (قارن أقصوصة ثروت أباظة " الأيام الخضراء" – وهى عندى أجمل أقاصيصه – فى المجموعة التى تحمل هذا الاسم).

ومفارقات الفقر والغنى فى عالمنا المعاصر حيث الشبع إلى حد التخمة والعُدْم إلى حد المجاعة يقفان جنباً إلى جنب : " انتهت نشرة الأخبار ، بعد أن عرضت كل ما يحدث فى العالم . . راح يقارن بين (متعة التسوق) لدى نساء أوربا ، وبين أطفال إفريقيا على صدور أمهاتهم فى طوابير المعونة الدولية ! " (مقطوعة 41).

ومن الخيوط الأخرى التى تعالجها العناقيد : تجاور النقائض (مقطوعة 49) وإمكانية تولد الخير من قلب الشر (مقطوعة 53) وضغوط الحياة المعاصرة (مقطوعة 57) وقوانين الصراع فى الحياة حيث القوى يأكل الضعيف أو يجور على نصيبه (مقطوعة 75) .

وزحف الشيخوخة على نحو لا راد له (مقطوعة 78) والهوة بين المظهر والحقيقة (مقطوعة 81) وسُنة

الحياة إذا تمنح بيد وتمنع باليد الأخرى (مقطوعة 123) وأباطيل الدنيا – وما هى إلا متاع الغرور – وكيف تنسى ابن آدم النهاية المحتومة (مقطوعة 136) وآيين الحياة فى توزيع الأنصبة بين البشر على نحو قد يستعصى أحياناً على الفهم " (مقطوعة 180) وتجاذب الأضداد وتنافر الأشباه (مقطوعة 211) إلى غير ذلك من موضوعات .

والسمة الغالبة على هذه العناقيد هى التأمل الفلسفى، أو كما يقول المؤلف فى مقدمته : " مجموعة متنوعة من الصور والمواقف الإنسانية والاجتماعية ، لكل منها خصوصيتها لكنها فى مجموعها تعكس رؤية فلسفية عامة لقضايا العصر الحاضر ، والإنسان الذى يعيش فيه " . لا عجب أن نجد هنا تأملاً فى فلسفة التاريخ (مقطوعة 93) وذكراً لأمثولة الكهف عند أفلاطون (مقطوعة 96) ونقضاً لتفاؤلية ليبنتز القائلة بأننا نعيش فى أحسن العوالم الممكنة ، وذلك على نحو ما سعى فولتير فى قصته الفلسفية " كنديد" إلى نقضها (مقطوعة 97) . وتغلب على هذه التأملات مسحة من التشاؤم ، وإن رقَّق منها شئ من حس الفكاهة .

ولا تخلو المقطوعة من بعد سياسى مباشر كما فى المقطوعة 130 : " عشنا حتى وجدنا الأشياء تُعرف بغير أسمائها : فمقاومة الاحتلال : إرهاب ! والحصار الاقتصادى:

عقوبات ذكية ! والفن الرخيص " فيديو كليب ! ".

ونقرأ فى المقطوعات التى تليها : " بعد الحرب العالمية الثانية ، نهضت ألمانيا بفضل معونة أمريكية ، وتقدمت اليابان بفضل رعاية أمريكية . لكن . . ما رأيكم فى تقدم الصين ؟ ! ".

ومن الشخصيات الأسطورية والدينية والتاريخية التى تتردد فى أبهاء هذه المقطوعات : إيزيس وأوزيريس (مقطوعة 175) ، وملاكا القبر منكر ونكير (مقطوعة 33) وسيدنا نوح عليه السلام (مقطوعة 203) ، والملك مينا موحد القطرين، والملكة البطلمية كليوباترا ، والملكة شجرة الدر (مقطوعة 181) . وفى أحد المواضع (مقطوعة 50) يذكر مؤلفنا نجيب محفوظ بالاسم بما يوحى أن عصر الفتونة الذى صوّره ما زال ممتداً – وإن اختلفت الصور – حتى يومنا هذا . [12]

---

[12] من أمثلة لقاء القرائح ، دون تأثر مباشر ، المقطوعة 58 هنا : "خرج من السجن ، مصمماً على الانتقام من الثلاثة الذين أوقعوا به . فوجئ بأن أحدهم قتل فى حادث ، والثانى طريح الفراش ، والثالث هجرته زوجته . . إلى ألد أعدائه ! ". وقارنها بأقصوصة نجيب محفوظ (وأقاصيص محفوظ تضم كنوزاً لا تقل قيمة عن رواياته) المسماة " الخلاء " من مجموعة " خمارة القط الأسود " (1969) حيث نجد موقفاً مشابهاً: إن شرشارة ، بعد عشرين عاماً من الصبر

وتلح بعض المقطوعات على الدور الخطير الذى يلعبه الملل فى حياة الإنسان ، وهو ما سبق إلى تبيانه فلاسفة وأدباء من طراز بسكال وشوبنهاور وإليوت : "بدأت الرحلة مريحة ورائعة ، وكانت الصحبة أجمل ما فيها . بعد عدة أيام حل التعب على الجميع وأصبحنا نتوق للعودة إلى

والتربص والانتظار ، عاشها فى المنفى بعيداً عن القاهرة وفى مجاهل الميناء بالإسكندرية ، يعود إلى حارته شرداحة لينتقم من المعلم لهلوبة الذى سلبه عروسه زينب فى ليلة الزفاف ، وركله ركلة قاسية ، وفى ثوان جرده من ثيابه الممزقة ، وطرحه أرضاً على أثر ضربة فى الرقبة ، وانهال عليه بغير رأفة حتى أغمى عليه ، وغرز وجهه فى نقرة مليئة ببول فرس . لقد أرغمه لهلوبة على أن يطلق زينب بعد أن حلت فى عينه (عين لهلوبة) ليلة الزفاف ، وبكى من الألم والقهر والذل دون أن يملك رفضاً لأمر الطاغية ، وشيعه أعوانه بالإهانة والإذلال . يُقبل شرشارة على القبو المفضى إلى الحارة ، ومعه رجاله المسلحون بالعصى والنبابيت ، وينادى على لهلوبة متحدياً إياه أن يخرج لنزاله ولكنه لا يتلقى جواباً من الحارة الصامتة. ويتبين لصدمته أن عدوه قد مات منذ خمسة أعوام أو أكثر ميتة عبثية : " دُعى إلى وليمة فى بيت أخته فأكل الكسكسى ثم تسمم هو والكثيرون من أعوانه ، ولم ينج منهم أحد " . هكذا انتفت إمكانية الانتقام الذى غدا أهم ما فى حياة شرشارة ، بل مبرر وجوده ذاته : "ما بال جميع الكائنات تختفى ولا يبقى إلا الغبار" . ويكره أن يرى الناس أو أن يروه ، وكان ثمة طريق الخلاء فيمضى نحو الخلاء !

منازلنا ! " (مقطوعة 106).

وقد يعمد حامد طاهر إلى نقض الأفكار الشائعة والكشف عما فيها من غلط كما فى قوله : " يقال " إن الرزق يحب الخفية " لكن التمساح يظل ساكناً حتى تمر عليه الفريسة ، فيبتلعها ! " (مقطوعة 62) وهو ما يذكرنى بمقولة ساخرة (لا يحضرنى الآن اسم صاحبها) مفادها أن اثنين تجادلا حول مزايا النشاط والتبكير فقال الأول : إن الطائر الذى ينهض مبكراً هو من يظفر بالدودة الأولى فرد عليه الثانى : ولكن الدودة التى تبكر فى الخروج هى التى تقع فريسة لأول طائر !

ولكنه فى غير هذه الحالة يصدّق على المقولات الشائعة كمقولة " وتقدرون فتضحك الأقدار " : " ظل ساهراً طوال الليل يجهز سيناريو لقائها ويضع كل كلمة فى مكانها . وحين رآها . . قالت له ببساطة إنها قد خطبت منذ أسبوع " (مقطوعة 87).

والآية القرآنية " وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ " : " طرده الشحاذون من منطقتهم ، قائلين له : إن رأيناك هنا مرة أخرى .. قتلناك . جلس على ناصية شارع قليل المارة واستغرق فى نوم عميق . عندما صحا . . وجد حجره مليئاً بالنقود!" (مقطوعة 18).

ومن النتائج التى ينتهى إليها المؤلف هنا ما تؤيده الخبرة التاريخية ، فنحن نتذكر مثلاً نظريات دارون ولامارك وغيرهما من علماء التاريخ الطبيعى ، بل نتذكر موقعة الأرمادا البحرية (1588) وكيف تمكنت فيها السفن الإنجليزية الخفيفة من الإيقاع بسفن الأسطول الأسبانى ثقيلة الحركة ، وذلك حين نقرأ فى المقطوعة 215: "السرعة . . كانت هى الحد الفاصل فى انقراض الحيوانات الضخمة وبداية عصر جديد من الحيوانات الصغيرة والسريعة التى لا تمكث لحظتين فى مكان واحد ".

وفى العناقيد ، كما هو طبيعى ، ما يقرع أجراساً فى أذهاننا ، ويذكرنا ببعض معاصرى حامد طاهر ومماثليه ، إذ يعيش الجميع لحظة حضارية واحدة ، وتتلاقى أفكارهم دون قصد أو تعمد . فحين يكتب حامد طاهر مثلاً : " أين القمر ؟ بحث عنه فى كل مكان . لم يجده من النافذة . . وفوق السطوح . . صعد إلى هضبة المقطم وانطلق بسيارته إلى صحراء الهرم . . وعندما سأل قالوا له : إن القمر لم يعد يظهر فى هذه المدينة ! " (مقطوعة 24) نتذكر قصيدة أمل دنقل " مقتل القمر " فى ديوانه المعنون بهذا الاسم .

وحين يقول مؤلفنا ، مسجلاً صدمة التغير الحضارى وزوال المجتمع التقليدى تدريجياً : " عاد إلى القرية بعد طول

غياب . وجد معالمها التى كان يعرفها قد اختفت، والمبانى ارتفعت ، وعلى الجدران إعلانات لتأجير أفلام الفيديو ! " (مقطوعة 120) نتذكر مقطوعة أدونيس المكتنزة بالدلالات على وجازتها : " بكت المئذنة / حين جاء الغريب / اشتراها وبنى مدخنة " .

وحين يكتب حامد طاهر فى المقطوعة 166 : "عشت طويلاً أخاف من الأماكن المظلمة حتى اكتشفت أخيراً أن ظلمة بعض صدور البشر أشد وحشة من ظلمة بعض الأماكن " نتذكر الاستعارة المركزية فى رواية جوزيف كونراد القصيرة " قلب الظلمات". وما قلب الظلمات عند الكاتب البولندى المولد الإنجليزى اللغة سوى نفوس البشر (ويمثلهم هنا المستعمر الأوربى فى الكونغو البلجيكى) وما تنطوى عليه جوانحهم من شر وجشع وقسوة .

وحين يقارن حامد طاهر طبائع الإنسان بطبائع الحيوان : " طبائع الحيوانات موجودة فى الإنسان فهناك من يشبه الأسد فى عزة النفس ، ومن يشبه الفيل فى الوقار ، ومن يشبه الدب فى الشراسة ، ومن يشبه الضبع فى الدناءة" (مقطوعة 173) ، نتذكر قصيدة صلاح عبدالصبور "مذكرات الصوفى بشر الحافى" حيث المتكلم وشيخه ينزلان نحو السوق فيجدان الإنسان الأفعى يجهد أن يلتف على الإنسان الكركى، ومن بينهما يمشى الإنسان الثعلب ،

والإنسان الكلب ينزل السوق كى يفقأ عين الإنسان الثعلب ويدوس دماغ الإنسان الأفعى ، والسوق يهتز بخطوات الإنسان الفهد وقد جاء ليبقر بطن الإنسان الكلب ويمص نخاع الإنسان الثعلب . وربما تذكر المرء أيضاً صور الحيوانات الضارية فى عالم " الملك لير" حيث القوى يروى رمحه من دم الضعيف غير راحم .

وحين يكتب حامد طاهر فى المقطوعة 182 : "المجتمع المتقدم مثل الجسم الصحيح كل عضو فيه يؤدى وظيفة محددة ، ولا يتدخل فى عمل عضو آخر . هل وجدت الأذن تدعى النظر ؟ ! أو العين تدعى السمع ؟ ! نتذكر أبيات ابن الرومى الخالدة فى رثاء ابنه :

وأولادنا مثل الجوارح أيها ... فقدناه كان الفاجع البين الفقد

لكل مكان لا يسد اختلاله ... مكان أخيه فى جزوع ولا جلد

هل العين بعد السمع تكفى مكانه ... أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى؟ [13]

على أن المرء قد يقول (بعبارة الدكتور ثروت عكاشة) على طريقة الرمزيين فى التشويش المقصود والخلط

---

[13] انظر قصيدة ابن الرومى فى كتاب : الروائع من الأدب العربى ، الجزء الرابع ، القرن الثالث الهجرى ، إشراف د. عزالدين إسماعيل ، المجلس الأعلى للثقافة 1993 ، ص 188- 192.

المتعمد بين معطيات الحواس : إن الأذن ترى والعين تسمع!

ويبقى أن نضيف أن عناقيد حامد طاهر تعتمد أساساً على عنصر المفارقة ، ذلك الذى جعله الناقد الأمريكى كليانت بروكس قوام التعبير الشعورى ، والأمثلة هنا أكثر من أى تحصى :

" كانت جميلة جداً إلى حد أن أحداً من زملائها لم يفكر فى الزواج منها . أما هى : فظلت تنتظر أن يفاتحها أى واحد منهم " (مقطوعة 64).

أو : " قبل أن يترك الإدارة بأسبوع عينه فى منصب كبير، وبراتب محترم . عندما جاء المدير الجديد ، فصله منه! " (مقطوعة 100).

وقد تتخذ مقطوعات حامد طاهر شكل حوارية مؤلفة من سؤال وجواب :

- ما الذى يهد الجبابرة ؟
- الزمن
- ألا يوجد شئ آخر ؟
- دعاء المظلومين (مقطوعة 153)

أو شكل محادثة بين تلميذ فتى وأستاذه الشيخ ، أشبه ، على نحو ما نجد فى " جنة الشوك " لطه حسين :

سأل المريد شيخه

– ماذا أفعل إذا رغبت فى شئ

ولم أستطع الحصول عليه ؟

– تحاول إخماد رغبتك

ببعض قطرات من الزهد ! " (مقطوعة 133)

أو قد يعمد إلى استخدام عنصر التقابل ، حيث إنه بضدها تتميز الأشياء ، كما فى هذه المقابلة بين النمل والنحل : " المجتمعات نوعان : أحدها مثل النمل ، لا يعمل إلا لمصلحة نفسه ، والثانى مثل النحل ، يعمل لفائدة الأخرين!". (مقطوعة 172)

(3)

أما بعد فقد عرف قراء صحيفتى "الأهرام" و"الجمهورية"، ومتتبعو الموقع الخاص به على الإنترنت[14]، الدكتور حامد طاهر واحداً من كبار مفكرينا الذين يعالجون قضايا الساعة من منظور فلسفى ، ترقق من صرامته طلاوة التعبير الأدبى ، ويتناولون قضايا الحياة والاجتماع والسياسة بنظرة إنسانية رحبة ، لا تتحيز ولا تتعصب ، وإنما تبتغى خير الفرد والجماعة .

(14) www. hamedtaher.com

واليوم يلتقى به القارئ فى هذا الكتاب صاحب نظرات ثاقبة لماحة فى الطبيعة البشرية وما تحفل به نفس الإنسان من أهواء ونزعات وانفعالات . ولعلى لا أبعد إذا قلت إن هذه العناقيد تصمد للمقارنة ، من بعض النواحى ، بذلك الموروث الأخلاقى السارى فى عروق الأدب الفرنسى من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ، موروث "مقالات مونتينى" ، و "خواطر" بسكال ، و "خلائق" لاروبير، "وآراء وحكم" فوفنارج ، و" حكم " لاروشفوكو ، و "نوائح المدينة " لشانفور، حيث نجد تشريحاً صارماً لدواخل النفس ونقائضها [15]. أو ربما كان لنا أن نقول – إذا أردنا مزيداً من الاقتراب من بيئتنا – أن هذه العناقيد هى المعادل النثرى لرباعيات صلاح جاهين .

بين يديك إذن – أيها القارئ الكريم – عصارة فكر ، وتجارب عمر ، فهلم معى نعتصر من العناقيد كل ما تحمل من متعة وفكر ... متعة الأداء الفنى البليغ ، وفكر المتأمل ، ممعن النظر فى أعماق الآخرين ، وفى أعماق ذاته أيضاً .

---

[15] انظر عن هؤلاء الأدباء والمفكرين الفرنسيون كتاب جوستاف لانسون : تاريخ الأدب الفرنسى فى جزأين، الأول بترجمة د. محمد محمد القصاص ، والثانى بترجمة د. محمود قاسم ، والجزآن بمراجعة د. سهير القلماوى ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 1962.

تقديم سريع

هذا كتاب يقع فى منطقة بين الشعر والقصة والفلسفة ، فهو من حيث الشكل يحاكى أسلوب الشعراء اليابانيين الذين كتبوا (الهايكو) وهى عبارة عن قصائد قصيرة جداً ، ترسم كل منها لوحة ، تترك انطباعاً معيناً فى نفس القارئ . أما من حيث المضمون ، فإنه يقدم مجموعة متنوعة من الصور والمواقف الإنسانية والاجتماعية ، لكل منها خصوصيتها ، لكنها فى مجموعها تعكس رؤية فلسفية عامة لقضايا العصر الحاضر ، والإنسان الذى يعيش فيه .

ولأننى أصبحت ألاحظ انحسار الرغبة فى القراءة، وخاصة لدى الشباب ، فقد أصبح من اللازم أن أقدم رسالتى إليهم من خلال سطور قليلة ، تجذبهم إلى القراءة ، أو تحبب القراءة لهم ، راجياً أن يجدوا فيها ما ينفعهم ويسليهم فى نفس الوقت .

حامد طاهر

1

وصل القطار
فلم يجد فيه من انتظره
وزاد حزنه
عندما وجد أكثر القادمين
ممن لم ينتظر مجيئهم !

2

يقال : " إن الرزق يحب الخفيّه "
لكن التمساح
يظل ساكناً
حتى تمر عليه الفريسه ،
فيبتلعها !

3

فى زمن السلم ،
يكون القتل جريمة كبرى . .
وعندما تنشب الحرب
يصبح القتل واجباً وطنياً
يستحق صاحبه أعلى النياشين !

4

راح يتحدث معها على الإنترنت
وصف لها نفسه ،
كما وصفت هى نفسها
الطباع واحدة ، والهوايات متشابهة ،
ولم يبق إلا اللقاء . .
تبين أخيراً أنه شاب يلهو !

5

لا توجد قوانين فى الحب
كل تجربة لها خصوصيتها
تماماً . . مثل أزهار الحدائق
التى تتفتح . .
فى كل بلاد العالم !

6

أسوأ ما فى أنظمة التربية
أنها تعلم الصغار
روعة الحق والخير والجمال . .
لكنها لا تقدم لهم
وسائل الوصول إليها ،
أو الدفاع عنها !

7

أمسك ساعى البريد بالخطاب ،
الذى لم يدون عليه عنوان ،
وراح يقلّبه بين يديه . .
حتى مر أحد الغرباء عن المدينه ،
فتناوله منه . .
ومضى !

8

جمعت الفتاه كل شجاعتها ،
وقالت لأمها :
– فعلاً أنا أحبه ،
ولن أتزوج بأحد سواه
خرجت الأم إلى الشرفة ،
وراحت ترشف مع الأب . .
فنجان القهوة .

9

رأى مدير الشركة فى المنام
كان يسأل ، فيجيبه بكل دقة .
تعجب المدير من إلمامه الشديد ،
وحسن استيعابه للأمور .
عندما استيقظ ،
حزن جداً لأنه لم يذكر له شيئاً ،
عن ترقيته التى تأخرت كثيراً . .

10

حين تقابلا فى الطريق ، قالت لها :
– ما أجمل كلبك !
– وأنت أيضاً . . ما أجمل كلبك !
وبعد أن تبادلاً الطرائف عنهما :
– ماذا تفعلين معه فى أجازة الصيف
– أتركه فى مركز رعاية متخصص !

11

كان يجلس وحده فى الحديقة
وفجأة حطت على أقرب غصن منه
فراشة ذات ألوان متعددة . .
البنى والأصفر والأزرق . .
راح يتأملها بكل حواسه ،
ولم يعد يفكر فى شئ آخر !

12

لم يكن يطيق سماع الموسيقى الصاخبه
لذلك أحجم عن قبول الدعوة
لكثير من الأعراس . .
ذات ليلة ،
قرر أن يصمد حتى نهاية العرس
لكنه عاد إلى منزله مثقلاً بصداع شديد

13

عندما جاء صاحبه فى الموعد
كان متأكداً أنه سيرد المبلغ الذى أخذه منه
لكنه اندهش . .
من طلبه مبلغاً آخر !
اعتذر مقسماً بأنه لا يملك شيئاً
تركه الصديق ،
وهو يقول لنفسه :
ما أثقل تبعات الصداقة !

14

سقط الليل على القرية
فأخلد أهلها كلهم للنوم . .
أما هو فظل مؤرقاً
يزعجه نقيق الضفادع ،
وكلما حاول أن يتذكر شيئاً جميلاً فى حياته . .
هاجمته لدغات البعوض !

15

كان أحب مكان إلى قلبه
ذلك المنزل الكبير فى آخر الشارع
فإلى جوار السور ،
قامت شجرة التوت الضخمة ،
وفى فنائه . .
قضى فترة الصبا مع أجمل فتاة . .
بضفيرة !

16

بعد الفجر بساعة
استيقظت الأسرة كلها
على صراخ الخادمة الصغيرة .
قيل إن ثعباناً لدغها ،
وقيل إنه عقرب ،
وقال البعض إنه فأر متوحش !
وحتى الآن . . لم يعرف أحد سبب وفاتها !

17

ذات يوم ،

فوجئ الفلاحون بأن النيل

قد تحول عن مجراه ،

وراحت مياهه تتدفق فى الصحراء ،

بدون نظام !

قال أحد الحكماء :

– لابد أنه غضب من معاملتكم !!

18

طرده الشحاذون من منطقتهم ،

قائلين له :

– إن رأيناك هنا مرة أخرى .. قتلناك

جلس على ناصية شارع قليل المارة

واستغرق فى نوم عميق

عندما صحا ..

وجد حجره مليئاً بالنقود !

19

فى وسط الشلّه
سهر حتى منتصف الليل
ضحك كثيراً واستمع لأكثر من مائة نكتة
عندما عاد إلى المنزل
لم يكن فى ذهنه
واحدة منها !

20

تمنى أن يصبح طبيباً كبيراً
ذاكر ، واجتهد ، وتفوق ،
حتى التحق بكلية الطب .
توقع له الجميع مستقبلاً زاهراً
لكنه ما لبث أن أبغض الدراسة ،
واشتغل بالتجارة .
أصبح الآن . . تاجراً كبيراً !

21

دخلت أشعة الشمس من شيش الشباك ،
فراح يتأمل الكائنات الصغيرة ،
التى تتماوج فيها . .
قال لنفسه :
– إلى هذا الحد يمتلئ الكون بالحركة ؟ !
وظل راقداً فى سريره !

22

حين ابتسمت له
شعر بأن الكون لا يسعه ،
وراح يتجول فى شوارع المدينة ،
حتى منتصف الليل
أدمن ذلك ، حين لاحظت أمه مدى النحول الذى أصابه
قالت له :
– إذا كنت تحبها يا بنى . . خطبناها لك
لكنه أجاب :
– أنا يا أمى لا أطيق الزواج .

23

كانت الشمس تتهيأ للغروب
وعلى ناصية الشارع ،
وقف عدد من الصبية يتحدثون . .
وفى الشرفة المطلة عليهم ،
راحت فتاة جميلة تنظر بوداعة
إلى نهاية الشارع . .

24

أين القمر ؟
بحث عنه فى كل مكان . لم يجده
من النافذة . . وفوق السطوح . .
صعد إلى هضبة المقطم . .
وانطلق بسيارته إلى صحراء الهرم . .
وعندما سأل ،
قالوا له : إن القمر لم يعد يظهر فى هذه المدينة !

25

لازمه شعور بالكآبة عدة أيام
ضاقت الدنيا فى عينه
ولم يعد يطيق الجلوس مع الأصدقاء
نصحوه بتغيير الجو . .
لكنه ذهب إلى المطار ،
وراح يتأمل حركة المغادرين والقادمين !

26

– لماذا تبدو الشمس بتلك القوة ؟
– لأنها فى أقرب مكان للأرض
– وماذا يحدث إذا اقتربت أكثر ؟
– يحترق كل شئ !

27

الهرم الأكبر . .
لا يبدو كبيراً من بعيد
وعندما تقف تحته ،
تهولك ضخامته ، وإحكام بنيانه
إنه بحق . . أكبر جبل صنعه الإنسان !

28

استدعته الأسرة عند الفجر
أشرف على عملية الغسل ،
واستخرج شهادة الوفاة ،
وقاد مسيرة الدفن ،
وتعاقد على إقامة السرادق ،
وعند كتابة النعى . . لم يذكر اسمه أحد !

29

في ركن المقهى ،
جلس العجوزان يلعبان (الطاولة)
كانت أيديهما معروقة ،
وأصابعهما تحرك الزهر بعصبية .
وعلى الرغم من شدة الضوضاء حولهما ،
فقد استغرقا بالكامل في اللعب . .
تماماً كما كنا نفعل ونحن أطفال !

30

حملت في كلتا يديها
ما يزيد على عشرة كيلو من الفاكهة ،
والخضار . .
كانت تمشي بجدية واضحة
والعرق يتصبب من جبهتها
لم يلتفت أحد إلى جمالها !

31

حين وضع يده فى يد الشاب ،
وغطاها المأذون بالمنديل ،
بدأ يدرك أن مسئولية ابنته
ستنتقل إلى شخص آخر ،
وأن الحياة . .
لا تستمر به وحده !

32

دق جرسُ الباب عدة مرات ،
فلم يفتح .
رنّ التليفون أكثر من مرة ،
فلم يرد .
ظل يفعل ذلك عدة أيام ،
حتى ساد الصمت تماماً فى المكان !

33

انصرف المشيّعون ،
ولم يبق على قبره
سوى شخصين غامضين
من هما ؟ وماذا يريدان ؟
عجز تماماً عن الإجابة ،
حتى بدآ هما يسألان . .

34

جاءه الصوت من أعماق الماضى
صديق لم يره منذ ربع قرن
وعلى الفور ، حدّد موعداً للقاء . .
وذهب مشوقاً لسماع الكثير . .
بعد نصف ساعة . . كان يود أن يرحل !

35

بعد أن زار كثيراً من المدن
جلس فى الشرفة ، يتذكر
عراقة لندن ، ورشاقة باريس ،
ومآثر روما ، وحيوية كوالالامبور
أما القاهرة ،
فكان لها من كل ذلك نصيب !

36

فتح عينيه من حلم ،
كاد يكون واقعاً !
وجد ضربات قلبه تتسارع ،
والعرق يتصبب من جبهته :
كان يحاول الهرب
من عصابة تريد قطع رقبته !

37

كانت شلة الأصدقاء
عائدة من الإسكندرية .
وعلى الطريق السريع ،
وجدوا سيارة مقلوبة ،
وقد علاها الصدأ .
سكتوا قليلاً ،
ثم قال أحدهم للسائق
– لماذا أبطأت السرعة ؟ !

38

أحب أغانيها منذ زمن طويل . .
وكان يتابع أخبارها فى المجلات
حتى أصبح متأكداً
أنه يعرفها . . كما تعرف هى نفسها !
وفجأة قابلها فى إحدى الحفلات
التف الجميع حولها
أما هو . . فظل واقفاً يتأملها من بعيد

39

توتر الموقف فى مجلس الإدارة
وانفعل رئيسه ،
حتى أنه ضرب الطاولة بيده عدة مرات . .
كان على كل عضو
أن يرفع يده فى التصويت
وهنا بدأت الحسابات تختلف
ووافق المجلس بالإجماع !

40

تزوجها عن حب
وراح يتباهى بذلك أمام الجميع
وحين دب الخلاف بينهما
أخفاه فى البداية . .
ثم أصبح يعرض تفاصيله
على كل من يقابله !

41

انتهت نشرة الأخبار ،
بعد أن عرضت كل ما يحدث فى العالم . .
راح يقارن بين (متعة التسوق)
لدى نساء أوربا ،
وبين أطفال إفريقيا
على صدور أمهاتهم
فى طوابير المعونة الدولية !

42

بعد أن أنجبت ابنتها
ظلت معها حتى قوى عودها
وصارت قادرة
على تحمل مسئولية الوليد الجديد . .
أصبحت تجلس وحدها فى النادى
وتنظر طويلاً فى الخضرة الممتدة أمامها . .

43

رن المحمول ، فاستبشر خيراً
لكنهم أخبروه بوفاة قريب . .
رن مرة أخرى ،
فأخبروه بمرض صديق . .
رن ثالثة
فظل ساكناً ،
دون أن ينظر حتى ليعرف من يطلبه !

44

فى البداية ،
كان يبغض النوم أثناء النهار
ثم راح ينام ساعة بعد الغداء
وأخيراً . .
أصبح ينام فى أى وقت
وفى أى مكان !

45

كيف يكون الحال والإنسان على المعاش ؟
كان يود أن يجد من يخبره
إلى أن حان الوقت
وعاش الفترة بكل ما فيها
ومن العجيب أن أحداً لم يسأله ،
لكى يقدم له خلاصة التجربة !

46

عاد من عمله ،
فوجد الشجرة الكبيرة أمام المنزل
قد سقطت ،
وعمال البلدية يقطعونها بالمناشير . .
تشاءم كثيراً
فقد كانت من عمر ابنه الأكبر !

47

ما أشد صمت القرية في المساء !
لكن في كل مكان ،
يوجد دائماً عدد من السمار .
هناك على حافة الترعة . .
جلسوا يشربون الشاى ،
ويتحدثون في كل شئ
حتى مطلع الفجر . .

48

حين ضاقت بها الحياة في القرية
جرّت بناتها الثلاث ،
وحملت ابنها الرضيع . . وجاءت إلى القاهرة .
وعلى تخوم حيّ راق
جلست تشوى الذرة
استلطفها الجميع ،
وأصبحت السيارات تتوقف للشراء منها !

49

ماذا يوجد فى التلفزيون ؟
برامج مسلية ،
ومناظر طبيعية ،
وفتيات حسناوات .
إلى جانب . . أحداث دامية
ومتحدثين ثقلاء
وانتهاك لخصوصية الإنسان !

50

كتب نجيب محفوظ كثيراً
عن فتوات الأحياء الشعبية
فى القاهرة .
كنا نحسب أن ذلك
هو طابع الزمن الماضى فقط . .

51

انخفض منسوب المياه فى البحيرة ،
وصارت أشد ملوحة .
ماتت الأسماك .
وطفا الكثير منها على السطح . .
رحل عنها الصيادون
وراحوا يعرضون أنفسهم ،
للعمل فى الحقول !

52

منذ سنوات طويلة
لم يشهد البيت الكبير
حادثة واحدة سعيدة .
عندما تمت خطبة الشاب للفتاة
وانطلقت الزغاريد
أدرك العجوز
أن نهر الحياة يجدد نفسه بنفسه !

53

هجم الشتاء قبل الموعد
واشتدت برودة الليل
أغلق نافذة الغرفة ،
لعدة شهور
وعندما فتحها
وجد على حافتها . .
زهرة يانعة

54

بدأ الشجار فى النادى ،
وامتدت المعركة إلى خارجه .
حوالى مائة شاب فى كل فريق !
وفى المنتصف سقط جرحى كثيرون . .
عندما سألنا عن حقيقة الأمر ؟
قيل كالعادة إنه بسبب فتاة !

55

قالت الأم : نسميها نسرين

وقال الأب : جلنار

وقال الطبيب : أخشى ألا تعيش . .

لذلك عندما ولدت ،

سمتها الجدة : عائشة !

56

جلسا على شاطئ النيل

يصطادان السمك

قال الأول :

– رسالة المبيدات صودرت فى الميناء !

وقال الثانى :

– ومزايدة الدجاج ضاعت منى !

أما السنّارتان فظلّتا ساكنتين تماماً فى الماء

57

توالت المشاغل
فلم يستمع لنشرة الأخبار
خلال عدة أيام .
عندما زار الطبيب
اندهش من انضباط مستوى الضغط
ونصحه بالتوقف
عن تناول الدواء !

58

خرج من السجن ،
مصمماً على الانتقام ،
من الثلاثة الذين أوقعوا به . .
فوجئ بأن أحدهم قتل فى حادث ،
والثانى طريح الفراش ،
والثالث هجرته زوجته . .
إلى ألدّ أعدائه !

59

أمام الفيللا الجديدة ،
جلس تحت التكعيبة
كانت العناقيد تتدلّى
وكلما انعكست عليها أشعة الشمس
تلألأت حبّات العنب
حدث نفسه قائلاً :
– لم يكن الوصول إلى ذلك سهلاً على الإطلاق !

60

قطرات الندى تنتشر على أوراق النبات
وأشعة شمس الصباح
تظهر وتختفى خلف غمام كثيف
وراح يتنقل فى أرجاء الحقل
مستحضراً زواج ابنه . .
بعد بيع المحصول !

61

تعاهدا
على أن يتساندا معاً
فى السراء والضراء .
تحدث الكثيرون عنهما
لكن عند ظهور أول فرصة ،
هجر أحدهما الآخر !

62

لأكثر من عشر سنوات .
عاشت العجوز
فى كوخ صغير . . على طرف الحىّ ،
ولم تنزعج أبداً
من معايشة ثعبان كبير
كان يسكن أحد الثقوب ،
وغالباً ما كان يطل برأسه . . من فتحته !

63

فى حديقة الحيوان
جلس يتأمل الأسد
إنه حزين ومنكسر . .
كما أنه يتحاشى النظر
فى عيون المتفرجين !

64

كانت جميلة جداً
إلى حد أن أحداً من زملائها
لم يفكر فى الزواج منها
أما هى . . فظلت تنتظر
أن يفاتحها أى واحد منهم !

65

نظر إلى صندوق الأدوية على الكومودينو
وجده يمتلئ بشرائط الضغط ،
والسكر ، والروماتزم . .
تساءل :
هل حقاً أنه لن يعيش
إذا أوقف تناول هذه الحبوب ؟ !

66

فوجئ بسيارة فارهة
تتوقف إلى جانبه
فتح صاحبها له الباب ، فدخل . .
كان أحد زملاء الجامعة
استمع إلى قصة نجاحه
وعند باب الحارة ، طلب منه أن يتوقف ،
ومشى إلى منزله . . دون أن ينظر خلفه !

67

كانت اللكمة أقوى مما يحتمل
سقط على الأرض مغشياً عليه
لم يستيقظ إلا فى المستشفى
وكان أجمل خبر يسمعه
أنهم قبضوا على الجانى !

68

لم يشعر بأى تهديد على حياته
لكنه وظف اثنين من البودى جارد
تماماً كما يفعل منافسوه !
ذات يوم ، اقترب منه شخص
قام الرجلان على الفور بإبعاده
تبين أنه يستجدى شيئاً لطعامه !

69

بمجرد أن سألتها أمها عن أحوالها
انخرطت فى البكاء . .
بعد أن هدأت ، قالت :
– إنه لم يعد يحبها
أكدت لها الأم أن هذا غير صحيح ،
وأنه لا يمكن أن يتخلى عنها أبداً
عادت ابتسامتها من جديد . .

70

تبدأ الحرب بالكثير من الثقة
لكنها تنتهى دائماً باللوم ،
واتهام كل فريق للآخر ،
باتخاذ قرارات عشوائية
وارتكاب أفعال لا إنسانية !

71

عندما تقدم لخطبتها ،
رفضوه
تزوج وتزوجت
صار لهما أبناء وأحفاد . .
وعندما توفى زوجها
لم تسمح له الأسرة أيضاً
بتقديم العزاء لها !

72

رسب عدة مرات
أخرجوه من المدرسة ،
وأصبح ميكانيكى سيارات
امتلأ جيبه بالنقود
وأصبح يدعو زملاء المدرسة
فى يوم عطلته على الغداء !

73

أسرّت لأختها الكبرى أنها تحبه
وأوصتها جيداً بعدم إفشاء السر
علمت أمها ، وأبوها ،
وإخوتها الكبار . .
منعوها من الخروج ،
وألا تنظر من النافذة !

74

أُعجب بعشرات النساء
لكنه لم يحب سوى القليل . .
وفى كل واقعة حب ،
كان يمر قبلها بحالة ضعف ،
أو مرض ،
أو حرمان !

75

تجمعت حول القمامة
عشرات القطط . .
وراح الأقوى يطرد الأضعف
ارتفع المواء وزاد الصراخ ،
حتى أقبلت الكلاب . .
وبدأت معركة أخرى !

76

منذ أودع المعلم السجن
أصبح المقهى أشد ازدهاراً
بفضل إدارة المعلمة
عاونها أحد الصبيان بجدية
حتى نال رضاها . . فتزوجته
تركت له المقهى . . وعادت للمنزل !

77

حل الربيع ،
فتفتحت الأزهار من كل نوع
خرج إلى الشرفة ،
وملأ صدره بالهواء المنعش
رن جرس التليفون ،
فعاد لمتابعة البورصة من جديد !

78

منذ الخمسين ،
تجرى سنوات العمر
أسرع مما كانت عليه قبلها
ما أثقل حلول أعياد الميلاد . .
على قلبه !

79

منذ طفولتها
وهى تبغض الفقر والإهمال
لم تمض سنوات ،
حتى كونت ثروة ،
وصار يشار إليها فى المجتمع
ومازال ألد أعدائها :
الفقر والإهمال !

80

قالت لصديقتها :
إنها سوف تنفصل
– لماذا ؟
– لم أعد أطيق الحياة معه
– هل يوجد رجل آخر ؟
– أجل

81

فى عصر كل يوم
كان يجلس أمام زوجته فى الشرفة
يشربان الشاى ، ويلعبان الكوتشينه
تعجب الأزواج ، وعايرتهم الزوجات
ذات يوم . .
فوجئ الجميع بأنه تزوج من أخرى !

82

فى ليالٍ معينة ،
تمتلئ السماء بالنجوم
بعضها أشد لمعانا
والكثير منها بعيدة ، ومنطفئة
كان مستلقياً عل ظهره فوق السطح
وراح يتساءل :
– ماذا يوجد فوق هذه النجوم ؟ !

83

تشاجرت المستشفى والمقبرة

قالت الأولى

– أنا أحافظ على صحة الناس

– وأنا أستقبلهم منكِ ؟

84

حين دخل عليه المكتب

رأى إنساناً حطمته السنين

والأمراض .

راح يصغى إليه ،

وهو يفكر فى نفس المصير !

85

جاء يسعى لخدمة ابنه الوحيد

استجاب لطلبه ،

ونفذه على الفور

خانت الرجل كلمات الشكر ، فبكى . .

ما أجمل أن يسامح الإنسان

أعداء الأمس ! !

86

كان يتمنى أن يتولى الإدارة

أى شخص . . سوى صاحبه

وفجأة أقعده مرض طويل

لم يكن يعوده فيه أحد . .

سوى هذا الصاحب !

87

ظل ساهراً طوال الليل
يجهز سيناريو لقائها
ويضع كل كلمة فى مكانها
وحين رآها . .
قالت له ببساطه
إنها قد خطبت منذ أسبوع !

88

بدأ الهجوم عليه من شخص واحد
ثم زاد واتسع ،
حتى خرج من محيط العمل
وتناولته وسائل الإعلام !
ترك لهم كل شئ . .
وهاجر إلى كندا

89

وقفت القطه على طرف الشرفة
وراحت تنظر إلى المارة فى الشارع
كان يهمها جداً
أن تتابع الكلاب ،
وزميلاتها من القطط الحرة !

90

بعيداً عن أى تأثير ،
قرر أن يقرأ التوراة والإنجيل والقرآن
استغرقته التجربة أكثر من ثلاثة شهور
بعدها جلس يتساءل :
– لماذا يتصارع أتباع هذه الأديان ؟

91

بعد رحلته الطويلة
مع التلفزيون والفيديو والكمبيوتر ،
عاد للراديو الترانزستور
يصغى للأغانى القديمة
ويستمع إلى نشرة الأخبار !

92

ظل يتساءل عن سبب ارتباطها به :
القوة ، أم الشهرة ، أم المال ؟
وعندما صارحها ،
أقسمت :
إنه الوحيد ،
الذى منحها الحنان !

93

سأل الأستاذ

– لماذا ندرس التاريخ ؟

وتعددت إجابات التلاميذ :

– لنأخذ العبرة من الماضى

– لنفهم الحاضر

– لكى لا نخشى من المستقبل . .

94

الفأر الذى تحاول الإمساك به

يقاومك . .

والقطة التى تحاول إبعادها

عن ركنها . . تخربشك . .

والحاكم الذى تسعى لإخراجه من قصره

لا يتردد فى أن يقتلك !

95

ما أجمل تمثال أبى الهول !
وجه إنسان وجسد أسد
وهو ينظر إلى الأمام
فى خط مستقيم
ليس إلى أعلى . .
وليس إلى أسفل !

96

الشبان الذين تحرروا
من الوظيفة الحكومية ،
واشتغلوا بالعمل الحر
يشبهون أولئك الذين خرجوا
من كهف أفلاطون ،
وشاهدوا الحياة على حقيقتها !

97

– لماذا يستمر الظلم فى العالم ؟
سأل المريد شيخه فأجاب :
– لكى يدرك البشر
أنهم لا يعيشون فى أفضل عالم ممكن !

98

ظلت المرأة تطلب من زوجها
قسط الجمعية
وزيادة مصروف البيت ،
وتحدثه عن أحذية الأولاد ،
حتى ضمها إلى صدره
فسكتت تماماً . . عن الكلام !

99

امتلأ بيت العمدة بالمعزين
وتعالى من الخلف نواح النساء
كان الحزن حقيقياً
فالرجل كان حكيماً وكريماً وعادلاً
أما شيخ البلد . .
فقد راح يفكر فى المنصب الخالى !

100

قبل أن أن يترك الإدارة بأسبوع
عينه فى منصب كبير ،
وبراتب محترم
عندما جاء المدير الجديد
فصله منه !

101

مشى التلميذان جنباً إلى جنب ،
يتحدثان .
وفجأة سأل أحدهما :
– لماذا انفصل والداك
– لا أدرى
سكتا قليلاً ،
وازداد اقتراب أحدهما من الآخر !

102

فى البداية ، كان يكره الرسم
وذات يوم ، اشترى لوحة من معرض
علقها فى المنزل ،
وراح يتأملها طويلاً . .
أدمن بعد ذلك شراء اللوحات ،
وصار يتكسب منها !

103

كان معروفاً عنه
أنه يخاف من الأماكن العالية !
وعندما عرضوا عليه الوظيفة الكبيرة
كان مكتبها فى الدور الثانى والعشرين !
لم يعد يتحدث عن خوفه
لكنه أوصى عامل المكتب
بإغلاق الستائر !

104

كانت أقصى مناه
أن يتزوج زميلته فى الجامعة
وبعد أن تحقق حلمه
تركها فى عش الزوجية ،
وسافر للعمل
فى إحدى دول الخليج !

105

اهتز قارب الصيد بصاحبه
ولم يكن معه أحد ،
ليساعده فى جذب الشبكة من الماء .
أما الشمس ، فقد ركزت
أشعتها اللاهبة . .
على جبهته .

106

بدأت الرحلة مريحة ، ورائعة
وكانت الصحبة . . أجمل ما فيها
بعد عدة أيام
حل التعب على الجميع
وأصبحنا نتوق للعودة
إلى منازلنا !

107

انطلق الباص بأقصى سرعة
استولى الخوف على الأطفال ، والنساء .
توجه بعض الرجال إلى السائق ،
ورجوه أن يقود بهدوء
لم يستمع إليهم . .
حتى وقعت الكارثة !

108

فى النادى ،
جلست مجموعة من النساء
يتشاكين مما يفعله الأزواج بهن
وبعد أن عرضت كل واحدة ما لديها
وأجهشت بعضهن فى البكاء
نادين على أولادهن . .
وافترقن مبتسمات !

109

صار متجهماً طوال الوقت
وحين سألته عن السبب
رفض أن يجيب
وبعد إلحاح شديد
أجاب بتلعثم :
– أزمة صحية !

110

من عادة الثعابين
إذا التقى منها اثنان
أن يقيس كل منهما حجم صاحبه . .
والقاعدة : ألا يتصارعا
إلا إذا كانا كفئين !

111

الرفق بالحيوان فى مصر
أكثر منه فى أوربا . .
فالناس تطعم القطط والكلاب
لكنها لا تحبسها فى المنازل
ولا تتحدث عنها فى التلفزيون !

112

كان يسكن فى الدور الخامس
ويعانى من كثرة انقطاع المياه
وفى وسط الشلة ، على المقهى
راح يتأمل حركة الصبى
الذى يرش الشارع
بمياه الشرب !

113

تعطل الكمبيوتر
فتوقف العمل تماماً . . فى المصلحة
استمر الحال على ذلك عدة أيام
حتى قال أحد الموظفين :

- لماذا لا نعود إلى العمل بأيدينا ؟ !

114

مضى وقت طويل
حتى أدرك أن الحيوانات تعقل
وأن بعضها أكثر ذكاء مما يتصور
ثم مر وقت آخر
أدرك فيه أن الجماد يموج من الداخل
بالحركة والحياة !

115

- لماذا نحب الأغانى ؟
- لأنها قد تكون جميلة ،

ولكن فى الأغلب
لأنها ترتبط بلحظات
خاصة جداً
فى حياتنا !

116

عندما اشترى شقته الجديدة
تمتع بالهدوء لمدة عام كامل
ثم راحت البنايات ترتفع من حولها
وخلاطات الأسمنت تعمل طوال الليل
وأخيراً وضعوا مكبرات الصوت
فى اتجاه غرفة نومه !

117

مرت أكثر من عشر سنوات
دون أن يلتقيا
وأخيراً رآه فى سرادق عزاء
كان ظهره قد تقوس
وأطلق لحيته
واستبدل بالميدالية الذهبية فى يده
سبحة طويلة من الخشب !

118

فى الشقة المطلة على القطار
كان يسكن زوجان بدون أطفال
ولم يلاحظ الجيران أحداً
يزورهما على الإطلاق
فقط عند المغرب . . كان الزوج يقرأ الجريدة
والزوجة تنهمك فى التطريز !

119

ظل يؤكد لها
أنه لا يعيش إلا من أجلها
وأن غيابه الطويل عنها
من أجل تكوين نفسه ،
لكى يتقدم بكفاءة إلى أهلها
وفى إحدى المرات ،
رحل . . ولم يعد !

120

عاد إلى القرية بعد طول غياب
وجد معالمها التى كان يعرفها
قد اختفت ،
والمبانى ارتفعت ،
وعلى الجدران ، إعلانات
لتأجير أفلام الفيديو !

121

انتهت فترة الدراسة
وأقيم حفل التخرج
ولم يكن يدرك الطلاب
أنهم يودعون أجمل فترات عمرهم ،
ويتجهون لمعاناة الحياة العملية !

122

سألته بعد أن استلم عقد المحل :
– ماذا ستفعل به ؟
– مطعم أفرنجى يبيع البيتزا ،
والشاورمه ، والهامبرجر . .
لم ينجح المشروع ،
وتحول بهدوء
لبيع الفول والطعمية !

123

عانى كثيراً فى طفولته
وكان شبابه قاسياً جداً
وعندما اقترب من الشيخوخة
بدأت الأحوال تتحسن
ولكن الأمراض تراكمت
فحجبت أشعة السعادة !

124

كان الأربعة يعملون فى مكتب واحد
ويتحاسدون فيما بينهم
ولم يُسكت الحقد فى صدورهم
سوى الوفاة المفاجئة
لأصغرهم سناً !

125

ظلت محتفظة بالسلسلة الذهبية
التى أعطتها لها أمها يوم زواجها
وكلما طلبتها إحدى بناتها
اعتذرت بأنها تمثل ذكرى عزيزة
حتى ولدت حفيدتها ،
فألبستها لها !

126

ظل يكره الشارع الذى يسكن فيه
بسبب تعرج الأرصفة ،
وكثرة الأتربة
وتراكم القمامة . .
وذات يوم ، قامت البلدية بسفلتته
فصار من أنظف الشوارع
وتحولت الكراهية . . إلى حب !

127

كان المجذوب يتجول حافياً
ولا يستر جسده إلا ثوب قصير
تبرك به أصحاب المحلات ،
فكانوا يمنحونه المال والطعام
وفجأة اختفى من الحى . .
وقيل إنه شوهد فى موسم الحج !

128

سكتت الأسرة كلها من المفاجأة
حين أخبرها الأب
أنه قرر بناء مقبرة . .
– أين ؟ ولماذا ؟ وكم تتكلف ؟
لكن كثرة الوفيات بعد ذلك
أثبتت كم كان حكيماً . .
قرار الأب !

129

عندما بلغنى أنه
من أصحاب الطائرات الخاصة
انسدت نفسى منه
ولم أعد أريد أن أراه ، أو أسمع عنه
لماذا ؟
لا أدرى !

130

عشنا حتى وجدنا الأشياء
تُعرف بغير أسمائها :
فمقاومة الاحتلال : إرهاب !
والحصار الاقتصادى : عقوبات ذكية !
والفن الرخيص . . فيديو كليب !

131

بعد الحرب العالمية الثانية ،
نهضت ألمانيا بفضل معونة أمريكية
وتقدمت اليابان
بفضل رعاية أمريكية
لكن . .
ما رأيكم فى تقدم الصين ؟ !

132

انتهى الأسد من تناول وجبته
وأقبلت زوجاته مع الأشبال ،
لتكمل على ما تبقى من الفريسة . .
كان الوقت قريباً من الغروب ،
والطيور . .
لم تعد بعدُ إلى أعشاشها .

133

سأل المريد شيخه

– ماذا أفعل إذا رغبت فى شئ
ولم أستطع الحصول عليه ؟

– تحاول إخماد رغبتك
ببعض قطرات من الزهد !

134

تقع الحوادث
فتهزنا بعنف
وتكاد تزلزل الأرض من تحتنا
ثم يتحرك بنا قطار الزمن
فيبعدنا عنها
وشيئاً فشيئاً ننسى تفاصيلها
وأحياناً أسماءها !

135

ركب كل منهما رأسه

فتم الطلاق !

وعندما سألوها بعد ذلك قالت :

– كان أطيب الرجال

أما هو فقال :

– لن أجد امرأه أخرى . . مثلها !

136

استقبلوه بحفاوة

وأجلسوه فى صدر السرادق

تماماً بجوار المقعد المخصص

لمندوب رئيس الجمهورية

أحسَّ بالزهو

ولم يعد يفكر . . فى الموت !

137

راحا يرشفان الشاى ،
وكل منهما يفكر فيما سيقوله لصاحبه
وفجأة نطقا فى وقت واحد :
– هل كانت المواصلات صعبة ؟
وما لبث أن ذاب الجليد بينهما !

138

تحولت كلمة المسئول
فى اللهجة المصرية
من الضد إلى الضد تماماً
فهى تعنى موظف الدولة
الذى يخضع لمساءلة القانون
وأصبح يشار بها
إلى الموظف الذى لا يحاسبه أحد !

139

عمل ، وخطط ، ونافق
من أجل الجائزة
وبعد أن حصل عليها . .
راح يهاجم
الذين لم يهنئوه بها !

140

كان قادة الحزب يتنافسون فيما بينهم ،
وأحياناً يتخاصمون
أما هو فقط ظل يقوم بدور حمامة السلام بينهم
حتى جاء اليوم
الذى أجمعوا فيه على اختياره
رئيساً للحزب !

141

كانت هوايتها الأثيره
أن تتشفى فى مصائب الآخرين
وأن توقع بين صديقاتها
وأخيراً أصابتها فضيحة
جعلتها موضع حديث الجميع !

142

حين التحق للعمل بالقصر
زادت أهميته فى الحى
وكثر تودد الجيران . . لزوجته
لكن أحداً لم يعرف أبداً
مدى المعاناة ، والجحود ،
واللامبالاة
التى كان يعانى منها فى العمل !

143

حين قال له الأطباء :
إنه السرطان !
لازم بيته لعدة أسابيع
دون أن يرد على التليفون
وفى لحظة فارقه . . قرر أن يتحدى ،
ويعاود حياته من جديد . .
مَرت عشر سنوات ،
ومازال يعيش بيننا !

144

طردها زوج أمها من المنزل ،
بعد أن حاول اغتصابها !
ولم يفتح لها الأقارب أبوابهم
اصطحبها أحد الرجال إلى مدينة الرذيلة
وفيها أصبحت امرأة مشهورة
كلما قابلت رجلاً سألها :
– ما الذى قادك إلى هذا الطريق ؟ !

145

كان يفكر فيها ،
وهى تعيش فى قارة أخرى
وذات يوم تساءل :
– كيف يمكن أن يستمر الحب بينهما ؟ !
تلفن لها ، فوجدها تقول له :
– هل تصدق أننى كنت سأتلفن لك
فى نفس اللحظة !

146

اشتهر بين أصدقائه
بأنه لا يحب سوى مصلحته
ولم يعرف عنه أنه ساعد أحداً منهم . .
وعندما حان وقت سداد الدَّيْن
واشتدت حاجته إليهم
انصرفوا جميعاً عنه !

147

فى ليلة شتوية ماطرة
جلس على المكتب ،
وقرر أن يكتب وصيته
استعرض أقاربه وزملاءه ومعارفه
لم يجد أحداً منهم يستحق . .
أوصى بثروته لإحدى الجمعيات الخيرية !

148

جلس فى الشرفة
دون أن يتفرج على المارة فى الشارع
أو يمد يده إلى كوب الشاى
أو يتصفح الجريدة
فقط . . راح يتابع السحب البيضاء
وهى تتدافع بهدوء . . فى السماء !

149

كان بيته فى القرية
يطل مباشرة على النيل
وكلما زاره زملاؤه فى المدينة
اندهشوا من روعة المكان
أما هو . .
فكان قد تعود عليه
إلى حد الملل !

150

قالت وهى باكية :
– هذه آخر مرة ترانى فيها
سكت ، فاستمرت :
– وسوف أرسل إليك كل هداياك
ظل صامتاً ، فأضافت :
– اسمح لى فقط . .
أن أحتفظ بخاتم الفضة !

151

في الحياة
توجد كائنات قوية ،
وأخرى ضعيفة
ومن طبيعة القوية أن تسحق غيرها . .
أما الضعيفة
فحسبها أن تتساند فيما بينها !

152

يقال : إن العرب قوم بلا ذاكرة
بمعنى أنهم لا يستفيدون من التاريخ
والواقع . .
أنهم لا يقرأون التاريخ أساساً
لكى يستفيدوا منه !

153

– ما الذى يهد الجبابرة ؟
– الزمن
– ألا يوجد شئ آخر ؟
– دعاء المظلومين

154

الفرق بين الحالم والمتفائل
يتوقف على المدى الزمنى
الذى يضعه كل منهما لمشروعه .
فالمتفائل يقول إن الوضع السىء
قد يتغير غداً
والحالم يقول : بعد عشرات السنين !

155

– لماذا يموج العالم

بكل هذه المظالم ؟ !

– ولماذا تموج الطبيعة

بكل هذه الكوارث ؟ !

156

– هل توجد وصفة سريعة

للتخلص من الكآبة ؟

– أجل . .

إذا استطاع الإنسان

أن يتزود بقدر من الرضا فى المساء ،

والقناعة طوال النهار !

157

لا يعرف قيمة فراشه
إلا مَنْ بات يتقلب طوال الليل
على فراش الغربة ،
ولا يعرف قيمة وطنه
إلا مَنْ تشرد وحيداً
فى أوطان الآخرين !

158

ليس المهم فقط
أن يحترم الصغير الكبير
وإنما المهم أيضاً
أن يحنو الكبير على الصغير
فالاحترام والحنان وجهان لعملة واحدة
تماماً مثل الأبوة والبنوة !

159

في اليوم
الذى يعيد فيه المصريون الاعتبار
لقيمتى النظام والنظافة
سوف تصبح بلادهم
أطيب مكان على ظهر الأرض !

160

لا يقطع قلبى مثل مشاهدة المظلوم ،
الذى لا يقدر أن يبوح لأحد بشكواه
تماماً مثل الحيوانات
التى يقسو عليها أصحابها ،
ولا تستطيع أن تشكو لهم . . أو منهم !

161

أسوأ المجتمعات
الذى لا يحصل فيه المعلم
على حقه من التكريم
لقاء ما يقدمه لأبنائه
من عصارة ذهنه ، واحتراق أعصابه !

162

يقال : أن الثقافة تبدأ بعد المدرسة
لكننى أقول :
إن الثقافة ينبغى أن تبدأ
مع الإنسان .
قبل المدرسة ، وأثناءها ، وبعدها . .
الثقافة هى روح الحياة !

163

أفضل ما يمكن أن تحصل عليه
من الحياة :
صديق تناجيه ،
وامرأة تحبها ،
وعمل تتقنه ،
ومجتمع تشعر فيه بالأمان !

164

مسكين مدرب كرة القدم :
إذا انهزم فريقه ،
انهال عليه لوم الجمهور ،
وإذا فاز الفريق ،
صفق الناس للاعبين وحدهم !

165

من قال :
إن النسر ملك الطيور ؟ !
لو كان حقاً كذلك
لامتنع عن أن يجعل طعامه
وطعام أفراخه . .
من لحوم رعيته !

166

عشت طويلاً
أخاف من الأماكن المظلمة
حتى اكتشفت أخيراً
أن ظلمة بعض صدور البشر
أشد وحشة من ظلمة بعض الأماكن !

167

متى يقلع المصريون
عن استخدام الحيوانات فى العمل ؟
أتمنى أن يحدث ذلك
لأن الآلة عندما حلت محل الحيوانات
حررت تلك المخلوقات . .
من عبودية الإنسان !

168

لم نكن نعرف من قبل
سوى مصطلحى الحرب والسلام
الآن أضيف إليهما الإرهاب والأمن
وهكذا كلما تعقدت الحضارة
ظهرت مصطلحات . .
تكاد تفقدنا شهية الطعام !

169

– كيف نتخلص من الكراهية ؟
– إذا تعودنا أن نسامح أنفسنا
حينئذ سوف تتسع صدورنا
لمسامحة الآخرين !

170

الصوفية
قوم نحبهم ونحسدهم
نحبهم لأنهم لا يتنافسون معنا
على زخارف الدنيا ،
ونحسدهم لأنهم يتحدثون أمامنا
عن سعادة روحية . .
لا نستطيع أن نجاريهم فى الوصول إليها !

171

يدهشنى
أننا جميعاً نطالب بعضنا بالحوار
وعلى الرغم من ذلك
فإن كلا منا لا يمارس الحوار مع نفسه ،
قبل أن يمارسه . . مع الآخرين !

172

المجتمعات نوعان :
أحدها مثل النمل ،
لا يعمل إلا لمصلحة نفسه ،
والثانى مثل النحل ،
يعمل لفائدة الآخرين !

173

طبائع الحيوانات موجودة فى الإنسان
فهناك من يشبه الأسد . .
فى عزة النفس ،
ومن يشبه الفيل فى الوقار ،
ومن يشبه الدب فى الشراسة ،
ومن يشبه الضبع . . فى الدناءة !

174

سيظل سقوط الحضارات وقيامها
يثيران فى النفس الكثير من الحزن والأمل :
الحزن على تجربة الإنسان الفاشلة ،
والأمل . .
فى إمكانية نجاحها من جديد !

175

أروع ما فى قصة إيزيس وأوزوريس
مغزاها الذى يؤكد
أن التمسك بالحق لابد أن ينتصر ،
وأن المثابرة نتيجتها النجاح ،
وأن إحياء الموات . . ممكن !

176

فرحة العروس واحدة
لا فرق بين من يقام زفافها
فى حارة برجوان ، أو فى قرية مشتول السوق
وبين من يقام فى فندق خمسة نجوم.
المهم بعد ذلك :
هو كيف تستمر الفرحة ؟

177

الذى يعقّ والديه
يعقّه أولاده .
تلك قاعدة منضبطه
ويبدو أنها فعلاً
من قوانين العدالة الإلهية !

178

فى كل أنحاء العالم
يجعلون المدافن فى أماكن بعيدة
أو منفصلة تماماً عن الأحياء السكنية
أما فى مصر
فالحياة والموت صنوان
يتجاوران ، ويتلاصقان . .
وأحياناً يتداخلان !

179

لا يستطيع أن يفهم لغة الحصان
سوى فارسه ،
ولا يستفيد من خيرات الحقل
سوى من يفلحه ،
ولا تذهب أرباح التاكسى . .
إلا لمن يسوقه !

180

ساكنو الأدوار العليا
يتمتعون بالهواء .
أما الماء . .
فهو من نصيب أصحاب الأدوار
السفلى!

181

مات الملك مينا
نتيجة عضة من فرس النهر (سيد قشطه)
وانتحرت كليوباتره
بلدغة الأفعى
أما شجرة الدر
فقد قتلت بالقباقيب
ما أشد التنوع فى مملكة الإنسان !

182

المجتمع المتقدم
مثل الجسم الصحيح
كل عضو فيه يؤدى وظيفة محددة
ولا يتدخل فى عمل عضو آخر
هل وجدت الأذن تدعى النظر ؟ !
أو العين تدعى السمع ؟ !

183

من أعجب الحكمة
أن الله تعالى وهب الإنسان العقل
الذى كلما ملأه بالعلم ازداد صحة ،
كما وهبه المعدة ،
التى كلما ملأها بالطعام
ازدادت مرضاً!

184

يقال : إن السياحة
هى السلعة الوحيدة
التى لا يغرم المجتمع فى صنعها
وهذا وهم كبير
فالسياحة تحتاج إلى شعب
يحسن استقبال الزائرين . .
كما يحسن وداعهم !

185

لا يتحدث عن الأخلاق عادة
سوى الضعفاء
كما لا يطالب بالعدالة الاجتماعية
سوى الفقراء !

186

– كيف يمكن للإنسان
أن يعض اليد التى ساعدته ؟ !
– ومن قال :
إن الذى يفعل ذلك أصلاً إنسان ؟ !

187

الإنسان المثقف
هو الذى لا تصدمه الآراء المخالفة ،
ولا وجهات النظر الأخرى
لأن همه الأساسى
أن يعرف قدراً ولو بسيطاً
عن كل شئ !

188

هناك علامتان
لمعرفة الصديق الحقيقى من المزيف :
الشهامة عندما يسلفك نقوداً،
والخجل حينما يطالبك بسدادها !

189

الذى يركب حصاناً
يسمى : فارساً
أما الذى يركب حماراً
فلا يسمى إلا . . راكب حمار !

190

لماذا سميت القناطر بالخيرية ؟
هل لأنها من أعمال الخير ؟
أما لأنها تفيض بالخير
على منطقة الدلتا كلها ؟ !

191

قيل لأحد قدماء المصريين
من كبار الموظفين :
– لماذا لا تبنى منزلك
على النيل مباشرة ؟
– لأن متعتى به طوال العام
لا تساوى لحظة واحدة
من فجيعتى فيه
عندما يطيح به الفيضان !

192

الطريق إلى النجاح
ملئ بالأشواك
فى حين أن طريق الفشل
مفروش غالباً بالورود !

193

– لماذا يبدو البخيل دائماً
مقطب الوجه ؟
– لأنه يدرك جيداً
أن الوجه البشوش
هو الذى يدفع الناس
إلى الطمع فى صاحبه !

194

التلفزيون
وحش صغير
ربيناه فى بيوتنا
وعندما كبر استولى علينا
حين نتعب منه ونغلقه
يسرع الأصدقاء بإخبارنا . .
عن كل ما شاهدوه فيه !

195

طباع النباتات
موجودة أيضاً فى الإنسان
هناك من ينهض معتمداً على نفسه
وهناك من لا يصعد
إلا من خلال التسلق على غيره !

196

كان الشجاع فى الزمن الماضى
هو الذى يمتطى حصاناً ،
ويشهر سيفه فى وجه خصمه
أصبح الشجاع الآن
هو من يوقع خصمه
فى أزمة اقتصادية !

197

عاد من رحلته الطويلة فى آسيا
وجلس يستعرض
ما رآه من حيوية شعوبها ،
ودماثة أخلاقهم
وكان أهم ما لاحظه
عدم ملء بطونهم . . بالطعام !

198

راح الفتيان الثلاثة
يتحدثون عن المستقبل
قال الأول : سأكون ضابطاً
وقال الثانى : مهندساً
وقال الثالث : طبيباً
ومن الغريب أنهم أصبحوا جميعاً . .
من رجال الأعمال !

199

فاجأت صديقاتها بخبر خطوبتها

- كيف حدث ذلك ؟
- بسرعة لم أكن أتوقعها
- ماذا يعمل العريس ؟
- فى السلك الدبلوماسى
- وكيف سيكون وقع الخبر على صاحبنا ؟ !
- هو حرّ . .

أعتقد أنه أضاع الفرصة !

200

جلس الخمسة حول المائدة :

الأب والأم ، وثلاثة أبناء

وأمامهم دجاجة واحدة . .

كان عليهم أن يقتسموها

فيما بينهم !

201

قدمته المذيعة
على أنه خبير فى الشئون الاستراتيجية
بدأ يتحدث بكلام كبير ،
لاحظ أن المذيعة لا تتابعه . .
تحول للحديث ببساطة
عن هموم الحياة اليومية !

202

فى آخر العمر
وعندما يسقط الليل ، ويحل الظلام
كان يجلس فى منطقة ،
بين اليقظة والنوم . .
ويحاول أن يستحضر ما مرّ به
من لحظات السعادة والشقاء ،
والحب والبغض ،
والنجاح والفشل . .
كل ذلك لم يكن يستحق !

203

سئم نوح عليه السلام
من عناد قومه
فى عدم قبول الحق
بعد أن ظل يدعوهم إليه
ما يقرب من تسعمائة سنة !
ونحن نغضب ممن يعاندنا . .
خلال جلسة واحدة !

204

مر الشحاذ على رواد المقهى
فأعطاه من أعطاه ،
واعتذر له الباقون
وكان بجوارى رجل يتناول إفطاره
فعرض عليه سندوتشاً
لكن الشحاذ رفض بشدة
قائلاً إنه لا يأخذ طعاماً !

205

بعض المقاهى تغالى كثيراً فى أسعارها
وعندما علم رب الأسرة
بأن ثمن فنجان القهوة ستة جنيهات وربع
طلب من الجرسون فنجانين فقط ، له ولزوجته
وأضاف قائلاً :
إن أبناءه الأربعة صائمون !

206

عندما دخلت السائحتان المطعم
صارتا بسبب ملابسهما القصيرة جداً
موضع نظرات الجميع !
ثم بعد فترة وجيزة
راحتا تتفحصان ملابس المحتشمات ،
وتتعجبان !

207

أوصلها زوجها بالسيارة الفارهة إلى المقهى
مع أطفالهما الثلاث . . ومضى
جلس الأُطفال لفترة هادئين
ثم راحوا يلهون بين المقاعد
لاطفهم أحد الجالسين
فابتسمت الأم الشابة
دخل معها فى حوار طويل . .

208

دخلا المطعم واجمين
أما هى فكانت جميلة جداً
وأما هو . .
فقد راح يتابع بغضب
كل مَنْ ينظر إليها .
فلا هو أسعدها
ولا تركها تسعد الآخرين !

209

المتزوجون
هم الذين يقبلون العالم كما هو
نهار وليل ، صحة ومرض ، سعادة وشقاء . .
أما غير المتزوجين
فهم الذين يصممون على رؤية جانب واحد من العالم

210

صاح الديك قبل الفجر
بساعتين
قال الرجل لزوجته :
– هذا الديك يحتاج إلى بطارية جديدة وإعادة ضبط !

211

فى المقهى
الذى أفضله على كورنيش الإسكندرية
قدم شابان بصحبة فتاتين
شاب وفتاة طويلان
والآخران قصيران
ومن الغريب أن الحديث الحميم
أخذ يجرى بين الطويل والقصيرة ،
وبين الطويلة والقصير !

212

نظرت السيدة لنفسها فى المرآة
وحين وجدت جمالها يتلألأ
قالت : هل يمكن لزوجى أن يعجب بإمرأة أخرى ؟
ولم تكن تدرك المسكينة
أن زوجها لا يجد متعته الكاملة
إلا فى أحضان الخادمة !

213

كان فى الحديقة
بلبل يجيد الغناء
حاولت كل الطيور الأخرى
أن تنافسه أو حتى تقلده فلم تستطع
وبدلاً من أن تكون خلفه
جوقة موحدة
راحت تصخب عليه
حتى سكت عن الغناء !

214

جوز أو فرد ؟
يعرضها عليك بائع الفستق
على كورنيش الإسكندرية
يمسك بكفه عدة حبات

وأنت تختار عددها
فإن خرج كما قلت
كسبت كمية من الفستق
وإلا خسرت مبلغاً من المال
فى اليوم الأول الذى تعلمتها كسبت كثيراً
وفى اليوم الثانى كان المكسب متواضعاً
أما فى اليوم الثالث فقد خسرت
عندها أدركت أنها الخطوة الأولى على طريق القمار !

215

السرعة . .
كانت هى الحد الفاصل
فى انقراض الحيوانات الضخمة
وبداية عصر جديد
من الحيوانات الصغيرة والسريعة
التى لا تمكث لحظتين فى مكان واحد .

216

عندما تعلم الإنسان

كيف يبيع ويشترى

كان يتعلم فى نفس الوقت

كيف يخدع ، ويغش ، ويناور . .

217

كان من المقدور

أن أكتب بالعربية

أبناء لغتى لا يقرأون بها

وأبناء اللغات الأخرى لا يترجمون منها

وهكذا بقيت فى مكانى . .

حيث لا يسمعنى أحد !

218

الإنسان
لا يدرك حجمه الصغير
إلا أمام البحر والجبل
ومع ذلك ، فقد ظل يحاول التغلب عليهما
حتى اخترع الطائرة
التى رفعته كثيراً فوقهما ! !

219

هناك بيوت
لا يدخلها الموت إلا مؤخراً
لكنه عندما يدخلها مرة
فإنه يعاود زيارتها
عدة مرات !

220

هناك شعوب تعشق الرقص والغناء
وشعوب لا تعرف سوى الحزن والبكاء
وهناك نوع ثالث من الشعوب
التى تفرح فى مصائب الآخرين !

المؤلفات الأدبية
للدكتور حامد طاهر

ديوان حامد طاهر	القاهرة	1985
ديوان قصائد عصرية	,,	1989
ديوان عاشق القاهرة	,,	1992
ديوان النباحى	,,	1992
الطواحين (قصيدة طويلة)	,,	1999
ديوان تراب القدس	,,	2001
ثلاث مسرحيات شعرية	,,	2002
نبش الذاكرة	,,	2000
المختصر فى الحب	,,	2001
قصص عالمية	,,	2001
حوارات سقراطية	,,	2002
قصص خاطفة	,,	2003
سلسلة شاعر ومختارات (1 هشام الرفاعى)	,,	1998
سلسلة شاعر ومختارات (2 صالح الشرنوبى)	,,	1999
سلسلة شاعر ومختارات (3 محمد الفيتورى)	,,	1989

رقم الايداع	٢٠٠٤/١٧٠٤٣

مطبـــعة العمـــرانية للأوفســـت
المنيب ت : ٧٧٧٩٣٩٨